

# أنا شاهد

رواية  
تصف بعضاً من الجرائم الحوثية  
اليمن 2013-2026



محمود الزبيري

الناشر

مكتبة

رواية تصف بعضاً من الجرائم

الحوثية

اليمن ٢٠١٣-٢٠٢٦

## المقدمة:

البداية كانت دماج، في محافظة صعدة، في شمال اليمن، كان هناك رجل يحمل دفترًا. لم يكن الدفتر كبيراً. لم يكن فاخراً. كان دفترًا عادياً. لكنه كان يحمل أثقل مما يحمل أي دفتر في العالم. كان يحمل أسماء. كان يحمل قصصاً. كان يحمل أرواحاً. كان يحمل ذاكرة.

اسمه سالم. سالم بن علي الحاجب. كان حارساً في معهد دار الحديث. ثم صارت دماج هدفاً. ثم جاء القصف. ثم جاء الحصار. ثم جاء الموت. ثم بدأ يكتب.

كتب أسماء الذين استشهدوا في القبو. كتب أسماء الذين ماتوا تحت الأنقاض. كتب أسماء الذين استشهدوا من الجفاف. كتب أسماء الذين دفنوا في مقابر جماعية. كتب كل اسم. كتب كل قصة. كتب كل حياة.

ثم خرج من دماج. ثم حمل الدفتر مع النازحين. ثم وصل إلى صنعاء. ثم بدأ يبحث. ثم بدأ يجمع. ثم بدأ يحفظ. لم يكن وحده.

في صنعاء، كانت أم هاني تكتب أسماء شهداء  
دماج. كانت تحفظ الذاكرة. كانت تفتح  
دفترًا ثانيًا للأحياء. كانت تقول لابنتها:  
«الذاكرة لا تموت.»

في تعز، كانت نجاة المعلمة تكتب أسماء  
الضحايا في دفتر سري. كانت تدرّس الطالبات.  
كانت تعلمهن الكتابة. كانت تقول:  
«الكتابة سلاح.»

في عدن، كان أبو ياسر مدير المدرسة يحرس  
مدرسة قديمة. كان يفتح الباب للأطفال  
الهاربين من الجبهات. كان يُخفيهم. كان  
يُعلمهم. كان يُحميهم. كان يقول: «التعليم  
حياة.»

في مأرب، كان حسن يزيل الألغام التي زرعها  
بيديه. كان يُصلح. كان يعتذر. كان يقول:  
«التوبة لا تمحو. لكنها تفتح باباً للأمل.»  
في تعز، كان عمّار الحفار يعدّ الجثث في  
المقابر الجماعية. كان يكتب عددها. كان  
يكتب تاريخها. كان يكتب كل شيء. كان  
يقول: «الأرض تحفظ.»

في صنعاء، كان سالم في الزنزانة رقم ٣ يعدّ  
المعتقلين. كان يعدّ الأيام. كان يعدّ  
السنوات. كان يعدّ كل شيء. كان يقول:  
«العدّ يبقيني حياً.»

في صنعاء، كانت سحر الصحفية تكتب في  
الظلام. كانت تنشر الأسماء. كانت توثق  
الجرائم. كانت تقول: «الحقيقة لا تموت.»  
في صنعاء، كان ماجد المهندس يرسم البيوت  
المهدومة. كان يرسم المساجد. كان يرسم  
المدارس. كان يرسم كل شيء. كان يقول:  
«الرسم يحفظ.»

في صنعاء، كان مروان يرسم الخرائط. كان  
يضع النقاط الحمراء على أماكن القصف. كان  
يقول: «الخريطة ذاكرة.»

كلهم كانوا يكتبون. كلهم كانوا  
يحفظون. كلهم كانوا يشهدون. كلهم كانوا  
يقاومون.

لم يكونوا أبطالاً. لم يكونوا قديسين. كانوا  
بشراً. كانوا خائفين. كانوا متعبين. كانوا  
ضعفاء. لكنهم كانوا هناك. كانوا  
يكتبون. كانوا يحفظون. كانوا يشهدون.

هذه ليست حكاية حرب.

هذه ذاكرة ضحايا.

وكل اسم في هذا الكتاب يشبه في الواقع

إنساناً له بيت وأم وأب وأبناء وأحلام، ثم دخلت

الحرب حياته ولم تخرج منها.

وهذه الرواية هي شهادتهم.

الشهادة لا تموت.

الشهادة تبقى.

دماج — البداية  
الفصل الأول  
الطبيب في القبو  
دماج، محافظت صعدة  
— أكتوبر ٢٠١٣

\*\*\*\*\* الجدار الشرقي

في صباح ذلك اليوم، سقطت القذيفة الأولى على الجدار الشرقي للمستشفى.

لم يكن هناك إنذار. لم تكن هناك صفارات. في دماغ، لم تكن هناك صفارات أصلاً. كانت القذائف تأتي بلا موعد، كأنها تختار لحظاتها بنفسها.

سقطت، واهتزّ الجدار، وانشقّ من أعلاه إلى أسفله نخطّ رفيع يمتد في وجه المبنى. لم يمت أحد في ذلك الانفجار. لكن الطبيب أكرم الوادعي خرج من غرفة الفحص، ونظر إلى الشقّ، وعرف أن الغرفة لم تعد صالحة. قال لنفسه، بصوت لم يسمعه أحد: "القبو".

القبو كان مخزناً للحبوب. تحت الأرض. بارد، رطب، ضيق. كان يخزن فيه القمح والشعير لبيوت الحي. الآن سيصبح المستشفى الوحيد في دماغ.

---

في تلك الليلة، نُقلت الأسرة. نُقلت الأدوية. نُقلت أجهزة بسيطة: جهاز تنفس، جهاز قياس ضغط، حقيبة إسعافات.

نُقلت أم علياء، وهي امرأة في الخمسين، كانت قد أُصِبت بشظية في ساقها قبل يومين.  
نُقل الطفل يوسف، وعمره سبع سنوات، كان قد أُصِيب في رأسه.  
نُقلت زوجة المزارع صالح، وكانت حاملاً في شهرها الثامن.

في القبو، كان هناك نحو ألف امرأة وطفل. لم يختاروا القبو. لم يكن لهم خيار آخر. الأرض فوقهم كانت تُقصف.

جلس الطبيب الوداعي على كرسي خشبي في زاوية القبو. أمامه، كانت الأسرة تُقصف. خلفه، كان الجدار الترابي يقطر ماءً. قال لنفسه: "هنا سنعمل".

---

\*\*\*\*\* الرجل الذي دخل القبو

في اليوم الثالث، دخل رجل لم يره الطبيب من قبل.  
كان رجلاً في الخمسين. نحيلًا. بثوب رمادي. وعمامة بيضاء. كان يحمل دفتراً صغيراً. كان يحمل قلماً. كان يحمل صمّاً ثقيلاً.

جلس في الزاوية البعيدة. لم يتكلم. كان ينظر إلى الأسرة، إلى الأطفال، إلى النساء. لم يطلب دواءً. لم يشتكِ من شيء.

في الليلة الرابعة، اقترب منه الطبيب.

الطبيب: "أنت مريض؟"

الرجل: "صمت. ثم "لا".

الطبيب: "إذن لماذا أنت هنا؟"

الرجل: "لأنني أريد أن أرى".

الطبيب: "تري ماذا؟"

الرجل: "أرى ما يحدث. أرى ماذا يفعلون بنا. أرى

من يموت أولاً. أرى من يصمد".

الطبيب: "ومن أنت؟"

الرجل: "اسمي سالم. سالم بن علي الحاجب. هكذا

ينادونني. الحاجب. كنت حارساً في معهد دار الحديث.

قبل أن يصبح المعهد هدفاً. الآن أنا لا أحرص شيئاً.

لكنني أرى".

الطبيب: "وماذا رأيت؟"

الحاجب: "نظر إلى الطبيب. كانت عيناه هادئتين. ثم قال بصوت خفيض" " رأيت أنهم لا يريدون قتلنا فقط. يريدون أن يمحونا. أن يمحو ذاكرتنا. أن يمحو اسمنا. هذا ليس حرباً. هذا محو".

الطبيب: "ومن هم؟"

الحاجب: "الذين يقصفون. الذين يمنعون الدواء. الذين يريدون أن نموت في القبو، لا فوق الأرض. لأن فوق الأرض، سيرانا العالم. في القبو، لن يرانا أحد".

سكت الطبيب. لم يقل شيئاً. لكنه فهم. الحاجب لم يكن مريضاً. كان شاهداً. أراد أن يرى بأمر عينيه ما يحدث، حتى لو مات. أراد أن يحمل الذاكرة. الذاكرة التي لا تُقصف.

---

\*\*\*\*\* الرجل الذي كان فلاحاً

في الليلة الخامسة، جلس الحاجب بجانب الطبيب.

الحاجب: "أريد أن أخبرك شيئاً".

الطبيب: "ماذا؟"

الحاجب: "أنا لست حارساً. كنت فلاحاً. كنت أزرع الأرض. كنت أحصد القمح. كنت أعيش. ثم جاء

المعهد. ثم احتاجوا حارسًا. فأصبحت حارسًا. ثم جاءت الحرب. فصرت لا شيء".  
الطبيب: "لماذا تحرس المعهد؟"

الحاجب: "لأنني كنت أوّمن بالتعليم. كنت أوّمن أن العلم هو الطريق. أنا لم أتعلم. كنت أميًا. لكنني تعلمت في الكبر. تعلمت القراءة. تعلمت الكتابة. تعلمت أن الكلمة أقوى من البندقية. تعلمت أن الذاكرة أقوى من القذيفة. لهذا حرصت المعهد. لأنه كان مكانًا للتعليم".  
الطبيب: "وماذا حدث لأولادك؟"

الحاجب: "صمت طويلًا. كان ينظر إلى الأرض. ثم قال بصوت منخفض" "عندي ثلاثة. الأول مات في القصف. الثاني اختفى. لم نعرف أين. الثالث بقي. اسمه سامر. عمره إحدى عشرة سنة. هو الآن مع أمه. في مكان آخر".

الطبيب: "أنا آسف".

الحاجب: "لا تكن آسفًا. أنت لم تقصف. أنت لم تمنع الدواء. أنت تحاول. لكنني أخبرك بهذا لأنني أريدك أن تعرف. أنا لا أحرص المعهد فقط. أنا أحمل ذاكرة

أولادي. الأول مات. الثاني اختفى. الثالث بقي. وأنا  
أحمل الثلاثة. في قلبي. في دفتري. في اسمي."  
الطبيب: "وماذا تكتب في الدفتر؟"  
الحاجب: "أكتب الأسماء".

الطبيب: "أسماء من؟"  
الحاجب: "أسماء الذين ماتوا. الأسماء الذين أُصيبوا.  
الأسماء الذين نزحوا. الأسماء الذين بقوا. لا أريد أن  
يضيع أحد."  
الطبيب: "ولماذا؟"

الحاجب: "لأنهم قد يمحو الأسماء. قد يقولون: لم يكن  
هناك أحد. لم يكن هناك دماغ. لم يكن هناك قصف.  
لم يكن هناك أطفال ماتوا. لم يكن هناك نساء دُفنّ تحت  
الأرض. لكنني سأكتب. سأكتب كل اسم.  
سأحتفظ بالورقة. حتى لو مت، الورقة ستبقى."  
الطبيب: "وهل تكفي ورقة؟"

الحاجب: "ورقة واحدة قد لا تكفي. لكنني سأكتب  
أكثر من ورقة. سأكتب كل يوم. سأكتب حتى ينفد  
القلم. ثم سأكتب بدمي".

\*\*\*\*\* أم علياء

في الليلة السادسة، توفيت أم علياء.  
كانت قد أُصيبَت بِشظية في ساقها قبل يومين. لم تكن  
الإصابة خطيرة في العادة. لكنها كانت تحتاج إلى  
جراحة. لم تكن هناك جراحة. كانت تحتاج إلى مضاد  
حيوي. لم يكن هناك مضاد حيوي. كانت تحتاج إلى  
نظافة. لم تكن هناك نظافة. القبو كان رطباً، دافئاً،  
مكتظاً. الجرح التهاب. ثم انتشر الالتهاب. ثم توفيت.  
جاء ابنها، علي، وعمره سبعة عشر. كان قد رأى  
القذائف تسقط على الحي. رأى الجدران تنشق. رأى  
النساء تهرب إلى القبو. لكنه لم يرَ أمه تموت. عندما نزل  
إلى القبو في الصباح، وجدها مسجاة. عرف أنها ماتت.  
لم يصرخ. لم يبكي. جلس على الأرض. وضع يده على  
وجهها. ثم قال بصوت منخفض:  
علي: "كانت تريد أن ترى حفيدها. لم يكن قد وُلد  
بعد".

الطبيب: "جلس بجانبه. ثم "أنا آسف".

علي: "لا تكن آسفًا. أنت لم تقصف. أنت لم تمنع الدواء.  
أنت حاولت".

الطبيب: "لكنني لم أنجح".

علي: "رفع رأسه. نظر إلى الطبيب" "النجاح ليس أن  
تُنقذ الجميع. النجاح أن تُنقذ من تستطيع. وأنت تنقذ".  
الطبيب: "أنا لا أعرف حتى إن كنت أنقذ أحداً".

علي: "أنقذت ٢٣. هذا ٢٣ إنسانًا. هذا ٢٣ عائلة. هذا  
كثير".

سكت الطبيب. لم يكن يعرف ماذا يقول. في ذلك  
القبو، كان كل شيء قليلًا. كان الدواء قليلًا. كان  
الطعام قليلًا. كان الماء قليلًا. كان الوقت قليلًا. كان  
الأمل قليلًا. لكن علي قال شيئًا جعله يفكر: "أنقذت  
٢٣".

23 إنسانًا. هذا ما كان. هذا ما بقي. هذا ما سيُروى.

---

\*\*\*\*\* الحاجب يكتب

في اليوم التالي، رأى الطبيب الحاجب يكتب.

كان قد جلس في الزاوية البعيدة. كان يحمل ورقة وقلماً.  
كان يكتب ببطء. كان يكتب بالعربية. كان يكتب  
بصبر.

الطبيب: "اقترب" "ماذا تكتب؟"

الحاجب: "دون أن يرفع رأسه" "أكتب الأسماء".

الطبيب: "أسماء من؟"

الحاجب: "أسماء الذين ماتوا. الأسماء الذين أُصيبوا.  
الأسماء الذين نزحوا. الأسماء الذين بقوا. لا أريد أن  
يضيع أحد".

الطبيب: "ولماذا؟"

الحاجب: "لأنهم قد يمحو الأسماء. قد يقولون: لم يكن  
هناك أحد. لم يكن هناك دماغ. لم يكن هناك قصف.  
لم يكن هناك أطفال ماتوا. لم يكن هناك نساء دفن تحت  
الأرض. لكنني سأكتب. سأكتب كل اسم.  
سأحفظ بالورقة. حتى لو مت، الورقة ستبقى".

الطبيب: "وهل تكفي ورقة؟"

الحاجب: "ورقة واحدة قد لا تكفي. لكنني سأكتب أكثر من ورقة. سأكتب كل يوم. سأكتب حتى ينفد القلم. ثم سأكتب بدمي".

سكت الطيب. لم يقل شيئاً. لكنه فهم. الحاجب لم يكن مجرد شاهد. كان ذاكرة. كان يحمل تاريخاً. تاريخاً لم يكن قد كتب بعد.

كتب الحاجب:

"أم علياء. الخمسين. ماتت في القبو. دفنت في مقبرة جماعية. لم يعرف قبرها".

ثم أغلق الدفتر. ثم فتحه مرة أخرى. ثم كتب اسماً آخر.

---

\*\*\*\*\* الليلة التي أراد فيها أن يتوقف

في الليلة العاشرة، جلس الحاجب في الزاوية. كان الدفتر أمامه. كان قد كتب ثلاثين اسماً. ثلاثين حياة. ثلاثين قصة. ثلاثين موتاً.

ثم أغمض عينيه. ثم فتحهما. ثم قال بصوت مسموع:

الحاجب: "لا أستطيع".

الطيب: "سمعه. اقترب "ماذا؟"

الحاجب: "لا أستطيع. لا أستطيع أن أكتب أكثر. كل هذه الأسماء. كل هذه القصص. أنا لا أستطيع أن أحملها".

الطبيب: "ماذا حدث؟"

الحاجب: "قبل قليل، مات طفل. في القبو. عمره ثلاث سنوات. اسمه يوسف. مات من الجفاف. لأنه لم يكن هناك ماء. كتبت اسمه. ثم نظرت إلى الورقة. ثم أغلقتها. ثم قلت لنفسني: لن أكتب أكثر. لا أستطيع".

الطبيب: "جلس بجانبه" "أنت لست وحدك".

الحاجب: "أنا وحدي. أنا الوحيد الذي يكتب. لا أحد غيري يكتب".

الطبيب: "أنا معك. سعاد معك. علي معك. كل من في القبو معك. نحن نمجمل معك".

الحاجب: "صمت. ثم نظر إلى الطبيب. في عينيه دموع. دموع كثيرة. دموع مكتومة. دموع من سنوات. قال بصوت مرتجف "أنا خائف".

الطبيب: "من ماذا؟"

الحاجب: "من أن أنسى. من أن أنسى اسمًا. من أن أنسى قصة. من أن أنسى طفلًا. أنا أخاف أن أنسى. وإذا نسيت، ضاعوا. وإذا ضاعوا، متنا. متنا لأن الذاكرة هي الحياة. وإذا ضاعت الذاكرة، ضاعت الحياة".

الطبيب: "هل ستنسى؟"

الحاجب: "لا أعرف. لكنني أخاف أن أنسى. لأنني إذا نسيت، سيضيع كل شيء. سيضيع الطبيب. سيضيع علي. سيضيع أولئك الـ ٢٣. سيضيع كل شيء".

الطبيب: "لن تنسى".

الحاجب: "كيف تعرف؟"

الطبيب: "لأنك لا تمام. الذي لا ينام لا ينسى. النوم هو الذي يحو. الذي لا ينام يحفظ".

الحاجب: "صمت. ثم قال" "وأنت؟ هل تمام؟"

الطبيب: "لا".

الحاجب: "لماذا؟"

الطبيب: "لأنني أخاف أن أرى وجهه".

الحاجب: "من؟"

الطبيب: "الذي عذبني. لا أعرف من هو. لكنني أراه كل ليلة. أراه يرفع يده. أراه يضربني. أراه يضحك. أراه يقول لي: اعترف. وأنا أقول: لا. فيستمر".

الحاجب: "وفي النهاية؟"

الطبيب: "في النهاية أستيقظ. فأجد نفسي هنا. فأقول لنفسي: أنا حر. أنا في مكان آخر. لن يعودوا. لكنني لا أصدق. لأنني أعرف أنهم قد يعودون. قد يأتون في أي ليلة. قد يأتون ويأخذوني مرة أخرى. أنا لا أستطيع أن أثق بأي شيء. أنا لا أستطيع أن أنام".

الحاجب: "ستنام".

الطبيب: "متى؟"

الحاجب: "عندما تكتب. الكأبة تُخرج الوجه. إذا كتبت عنه، سيخرج من رأسك. سيصبح على الورق. لن يعود".

الطبيب: "هل تعتقد؟"

الحاجب: "أعرف".

الطبيب: "صمت. ثم نظر إلى المدينة" "غداً. غداً سأكتب".

الحاجب: "لا تقل غداً. قل اليوم".  
الطبيب: "نظر إلى الحاجب. ثم ضحك ضحكة خفيفة.  
كان أول مرة يضحك منذ خروجه من السجن. قال"  
"اليوم".

ثم فتح الحاجب الدفتر. ثم أخذ القلم. ثم كتب:  
"يوسف. ثلاث سنوات. مات في القبو. مات من  
الجفاف. دفن في مقبرة جماعية. لم يُعرف قبره".  
ثم أغلق الدفتر. ثم نظر إلى الطبيب. ثم قال:  
الحاجب: "شكراً".

الطبيب: "على ماذا؟"  
الحاجب: "على أنك جعلتني أكتب مرة أخرى".  
الطبيب: "أنا لم أفعل شيئاً".  
الحاجب: "بلى. أنت جعلتني أتذكر لماذا أكتب. أنا  
أكتب لأنني لا أستطيع أن أنسى. أنا أكتب لأن  
الذاكرة لا تموت. أنا أكتب لأن الكتابة هي المقاومة.  
والكتابة هي الحياة".

**الفصل الثاني**  
**الرجل الذي يمشي في**  
**الظل**  
**صنعاء، حي شعوب —**  
**أواخر ٢٠١٤**

\*\*\*\*\* الرجل الذي يعرف كل الطرق

في شارع الستين، حيث تلتقي الطرق وتفرق، كان هناك رجل يمشي كل يوم.

لم يكن أحد يعرف اسمه الحقيقي. في المقهى، كانوا ينادونه "أبو المجد". كان في الأربعين. كان يرتدي بنطالاً رمادياً وقيصاً أزرق باهتاً. كان يمشي بخطوات ثابتة، كأنه يحفظ كل حجر في الرصيف. كان يعرف كل طريق في صنعاء. كان يعرف الأزقة الصغيرة التي لا تعرفها دوريات الحوثين. كان يعرف الأسطح التي يمكن أن تمشي عليها دون أن يراك أحد. كان يعرف الأبواب التي يمكن أن تفتح لك دون أن تسألك من أنت.

كان أبو المجد دليلاً.

لم يكن دليلاً بالمعنى التقليدي. لم يكن يرافق السائحين. كان يرافق الناس. كان يرافق من يريد أن يخرج من صنعاء دون أن يُعتقل. كان يرافق من يريد أن يدخل صنعاء دون أن يُفتش. كان يرافق من يريد أن يصل إلى بيته دون أن يمر بنقطة تفتيش. كان يرافق من يريد

أن يزور معتقلاً. كان يرافق من يريد أن يبحث عن مخفي.  
كان يرافق من يريد أن يهرب.

كان يعرف كل نقطة تفتيش. كان يعرف متى تتغير  
الدوريات. كان يعرف من هو الضابط الذي يمكن أن  
"يتفهم". كان يعرف من هو الضابط الذي لا يمكن أن  
يتفهم. كان يعرف من هو الضابط الذي يمكن أن يأخذ  
رشوة. كان يعرف من هو الضابط الذي لا يمكن أن  
يأخذ. كان يعرف كل شيء.

لكن أبا المجد لم يكن يعرف نفسه.

في الليل، عندما يعود إلى بيته الصغير في حي شعوب،  
كان يجلس على السرير. كان ينظر إلى الجدار. كان  
يسأل نفسه:

"من أنا؟"

لم يكن يعرف. كان قد نسي. كان قد تناسى. لأن ما  
رآه في السنوات الأخيرة كان أكثر من أن يحتمله. كان  
قد رأى رجالاً يُعتقلون. نساءً يُخفين. أطفالاً يموتون.  
بيوتاً تُهدم. كان قد رأى كل شيء. وكان قد قرر أن

ينسى .أن ينسى نفسه .أن ينسى ماضيه .أن ينسى من  
كان .ليتذكر فقط كيف يُنقذ.  
هذا كان عمله .هذا كان حياته .هذا كان كل شيء..

---

\*\*\*\*\* الرجل الذي وصل من دماج  
في إحدى الليالي، طرق الباب.  
كان الطرق خافتاً .كان الطرق خائفاً .كان الطرق يائساً.  
فتح أبو المجد الباب.  
كان هناك رجل .كان في الخمسين .كان نحيلاً .كان  
يرتدي ثوباً رمادياً .كان يحمل حقيبة صغيرة .كان يحمل  
دفتراً .كان يحمل عينين متعبتين .كان يحمل كل دماج  
في وجهه.

الحاجب : "أنت أبو المجد؟"

أبو المجد : "نعم".

الحاجب : "أنا سالم .سالم الحاجب .من دماج".

أبو المجد : "نظر إلى الرجل .رأى الغبار على ثوبه .رأى  
الجفاف على شفاهه .رأى الحزن في عينيه .قال " من

دماج؟"

الحاجب : "نعم".

أبو المجد: "دماج سقطت قبل شهر".

الحاجب: "أعرف. أنا كنت فيها".

أبو المجد: "كيف خرجت؟"

الحاجب: "مشيت. مشيت أياماً. مشيت حتى وصلت إلى صنعاء".

أبو المجد: "لماذا جئت إليّ؟"

الحاجب: "لأنني سمعت عنك. سمعت أنك تساعد الناس. سمعت أنك تعرف كل الطرق. سمعت أنك تعرف كل السجون. سمعت أنك تعرف كل من يعرف. أنا أبحث عن ابني".

أبو المجد: "ابنتك؟"

الحاجب: "ابني. اسمه سامر. كان في دماج. خرج مع أمه. وصل إلى صنعاء. لكنني لم أعرف أين هو. أنا أبحث عنه منذ شهر".

أبو المجد: "صمت. ثم قال "ما اسم أمه؟"

الحاجب: "أم سامر".

أبو المجد: "هل تعرف أين كانت تسكن في دماج؟"

الحاجب: "نعم. في الحي الشرقي. قريب من المعهد".

أبو المجد: "هل تعرف أي مخيم ذهبت إليه؟"  
الحاجب: "لا. لا أعرف. خرجوا في الليل. لم يخبروني  
إلى أين. قالوا: سنذهب إلى مكان آمن. لكنهم لم يقولوا  
أين".

أبو المجد: "صمت. ثم قال "سأساعدك".  
الحاجب: "كيف؟"

أبو المجد: "أنا أعرف كل المخيمات. أعرف كل الناس.  
أعرف كل من يعرف. سأسأل. سأبحث. سأجد".  
الحاجب: "لماذا تساعدني؟"

أبو المجد: "لأنك من دماج. لأنك تحمل دفتراً. لأنك  
تبحث عن ابنك. لأنك مثلي. نحن كلنا نبحث عن شيء.  
نحن كلنا فقدنا شيئاً. نحن كلنا نريد أن نجد".

---

\*\*\*\*\* الرجل الذي فقد منشاره

في اليوم التالي، أخذ أبو المجد الحاجب إلى حي شعوب.  
في دكان صغير، كان هناك رجل. كان في الخمسين. كان  
ينجّر خشباً. كان يرتجف. كان يتعب. لكنه كان يعمل.  
أبو المجد: "أبو بلال، هذا سالم. من دماج".

أبو بلال : "رفع رأسه. نظر إلى الحاجب . عرفه. قال  
بصوت مبحوح " "الحاجب؟"  
الحاجب : "نظر إلى أبي بلال . عرفه. كان جاراً له في  
دماج . كان نجاراً . كان يشتهر بمنشاره القديم . قال " "أبو  
بلال؟"

أبو بلال : "نعم . أنا أبو بلال".  
الحاجب : "كيف حالك؟"  
أبو بلال : "بخير . أحاول أن أعمل . لكن يدي ترتجف".  
الحاجب : "لماذا؟"

أبو بلال : "لأنني تركت منشاري في دماج . لم أستطع  
أن أحمله . قالوا : اخرج فقط . أخرج وليس معك شيء !  
خرجت . وتركته . والآن أشتري منشاراً مستعملاً . لكن  
يدي ما زالت تذكر القديم . يدي ترتجف . ليس من  
المرض . من الذاكرة".

الحاجب : "أنا أيضاً تركت شيئاً في دماج".  
أبو بلال : "ماذا تركت؟"

الحاجب : "تركت بيتي .تركت أرضي .تركت قبور  
آبائي .تركت كل شيء .لكنني لم أترك دفتري .حملته  
معي .هو كل ما أملك".

أبو بلال : "ماذا فيه؟"

الحاجب : "أسماء .أسماء من ماتوا .أسماء من نزحوا .أسماء  
من بقوا".

أبو بلال : "صمت . ثم قال " هل فيها اسم أمي؟"

الحاجب : "ماذا؟"

أبو بلال : "أمي .ماتت في دماج .في القصف .هل كتبت  
اسمها؟"

الحاجب : "ما اسمها؟"

أبو بلال : "فاطمة .فاطمة بنت علي".

الحاجب : "فتح الدقتر .قلب الصفحات .ثم توقف .ثم  
قال " نعم .فاطمة بنت علي .الخامسة والسبعين .ماتت  
في القصف .دفنت في مقبرة جماعية .لم يُعرف قبرها".  
أبو بلال : "بكى .بكى لأول مرة منذ شهر .قال " شكراً .  
شكراً لأنك كتبت اسمها .شكراً لأنك حفظتها".  
الحاجب : "لا تشكرني .هذا واجبي".

أبو بلال : "لا . هذا ليس واجباً . هذا شرف . أنت تحفظ  
أسماء من ماتوا . أنت تحفظ ذاكرتهم . أنت تحفظ  
حياتهم" .

---

\*\*\*\*\* المرأة التي فتحت مدرسة الخيمة  
في اليوم الثالث ، أخذ أبو المجد الحاجب إلى حي شعوب .  
في خيمة كبيرة ، كانت هناك امرأة . كانت في الثلاثين .  
كانت تُدرّس أطفالاً . كانوا يجلسون على الأرض . كانوا  
يحملون دفاتر . كانوا يتعلمون .

أبو المجد : "نادية ، هذا سالم . من دماج" .  
نادية : "رفعت رأسها . نظرت إلى الحاجب . عرفته .  
قالت " "الحاجب ؟"

الحاجب : "نظر إليها . عرفها . كانت جارته في دماج .  
كانت معلمة لغة عربية . كانت قد فقدت زوجها في  
الحصار . قال " "نادية ؟"

نادية : "نعم . أنا نادية" .

الحاجب : "كيف حالك ؟"

نادية : "بخير . أدرّس الأطفال . هذه مدرستي . مدرسة  
الخيمة" .

الحاجب: "لماذا تُدرّسين؟"

نادية: "لأن الأطفال بحاجة إلى التعليم. لأن التعليم هو السلاح. لأن التعليم هو الحياة. أنا لا أستطيع أن أوقف الحرب. لكنني أستطيع أن أعلم. أستطيع أن أعطي الأطفال شيئاً لا يمكن أن يُقصف. شيئاً لا يمكن أن يُعتقل. شيئاً لا يمكن أن يُقتل. شيئاً يبقى."

الحاجب: "ماذا تعلّمينهم؟"

نادية: "القراءة. الكتابة. الحساب. التاريخ. كل شيء. لكنني أعلمهم أيضاً أن يحلوا. أن يأملوا. أن يعيشوا."

الحاجب: "من أين جئتِ بالأطفال؟"

نادية: "من الخيمات. من البيوت. من الشوارع. من كل مكان. هم أطفال النازحين. أطفال الحرب. أطفال اليمن."

الحاجب: "هل عندك طفل اسمه سامر؟"

نادية: "صمتت. ثم نظرت إلى الحاجب. في عينا شيء من الألم. قالت "سامر؟"

الحاجب: "نعم. سامر. ابني."

نادية: "سامر الذي يرسم؟"

الحاجب: "رفع رأسه في عينه أمل. قال" "نعم. سامر  
الذي يرسم. هو هنا؟"  
نادية: "كان هنا. قبل أسبوع. ثم ذهب."  
الحاجب: "إلى أين؟"  
نادية: "لا أعرف. أمه أخذته. قالت إنها ستذهب إلى  
مخيم آخر. لم تقول أين."  
الحاجب: "صمت. ثم قال بصوت منخفض" "أين  
ذهبت؟"  
نادية: "لا أعرف. لكنني أعرف أم سامر. كانت تأتي  
كل يوم. كانت تجلس هناك. تراقب سامر. ثم تأخذه."  
الحاجب: "هل تعرفين أي مخيم ذهبت إليه؟"  
نادية: "لا. لكن أبا المجد يعرف. هو يعرف كل  
المخيمات. هو يعرف كل الناس."  
أبو المجد: "كان واقفاً بجانبهما. قال" "سأسأل. سأبحث.  
سأجد".

---

\*\*\*\*\* الطفل الذي يرسم دماج  
في اليوم الرابع، أخذ أبو المجد الحاجب إلى مخيم آخر.

في خيمة صغيرة، كان هناك طفل . كان في الحادية عشرة . كان يرسم . كان يرسم بيوتاً . كان يرسم جبلاً . كان يرسم شمساً . كان يرسم دماغ . أبو المجد : "سامر، هذا أبوك".

سامر : "رفع رأسه . نظر إلى الحاجب . لم يصدق . قال بصوت مرتجف " "أبي؟"

الحاجب : "جلس على الأرض . فتح ذراعيه . قال بصوت مرتجف " "سامر!"

سامر : "قام . ركض . احتضنه . بكى . بكى لأول مرة منذ شهور . قال " "أبي !أبي !كنت خائفاً !كنت أريدك ! كنت أنتظرك !أمي قالت إنك مت !لكنني لم أصدق ! كنت أعرف أنك حي !كنت أعرف!"

الحاجب : "احتضنه . بكى . بكى لأول مرة منذ سنوات . قال " "سامر !حبيبي !أنا هنا !أنا حي !لم أمت !كنت أبحث عنك !كنت أذهب إلى كل مكان !كنت أسأل كل من يعرف !كنت أدعو الله كل ليلة أن أجذك ! والآن وجدتك !الآن أنت هنا !الآن أنا هنا!"

سامر: "أبي، أنا آسف. أنا آسف لأنني لم أكن معك .  
أنا آسف لأنني تركتك".

الحاجب: "لا .لا تقبل هذا .أنت طفل .أنت لم تفعل  
شيئاً .هم الذين فعلوا .هم الذين قصفوا .هم الذين قتلوا .  
هم الذين شردوا .أنت ضحية .أنت لست مجرمًا".

سامر: "بكي أكثر .قال " لكنني خفت .خفت كثيراً .  
خفت أن أموت .خفت أن أفقدك .خفت أن أفقد  
أمي .خفت أن أفقد كل شيء".

الحاجب: "لا تخاف .أنا هنا .أنا لن أتركك .لن أسمح  
لأحد أن يأخذك .لن أسمح .أنا أبوك .وأنا سأحميك .  
حتى لو مت .سأحميك".

سامر: "صمت . ثم قال بصوت منخفض "أبي، أنا  
أرسم".

الحاجب: "ماذا ترسم؟"

سامر: "أرسم دماغ .أرسم البيت .أرسم الجبل .أرسم  
الشمس .أرسم الناس .أرسم كل شيء .حتى لا أنسى".  
الحاجب: "نظر إلى الرسم .كان جميلاً .كان حزيناً .كان  
ذاكرة .قال بصوت هادئ" "سامر، أنت مثل أبيك".

سامر: "ماذا؟"

الحاجب: "تحفظ. تحفظ الذاكرة. تحفظ الحياة".

سامر: "هل هذا جيد؟"

الحاجب: "نعم. هذا أفضل شيء. الذاكرة هي الحياة.  
وإذا ضاعت الذاكرة، ضاعت الحياة".

---

\*\*\*\*\* الليلة التي أراد فيها أن يتوقف

في الليلة نفسها، جلس الحاجب مع أبي المجد.  
كانا في بيت أبي المجد الصغير. كانا يشربان الشاي. كانا  
صامتين.

أبو المجد: "سالم، لماذا أنت هنا؟"

الحاجب: "ماذا تعني؟"

أبو المجد: "لماذا جئت إلى صنعاء؟ لماذا تبحث عن سامر؟"

لماذا تحمل دفترًا؟ لماذا تكتب الأسماء؟"

الحاجب: "لأنني لا أستطيع أن أنسى".

أبو المجد: "لماذا؟"

الحاجب: "لأنني إذا نسيت، مات من مات. مات  
مرتين. مات في القصف. ومات في النسيان. أنا لا أريد  
أن أموت مرتين. أنا لا أريد أن يموت أي أحد مرتين".

أبو المجد: "لكنك قد تموت . قد يقتلونك . قد يعتقلونك .  
قد يختفونك".

الحاجب: "أعرف".

أبو المجد: "ومع ذلك تريد أن تكتب؟"

الحاجب: "نعم".

أبو المجد: "لماذا؟"

الحاجب: "لأنني إذا لم أكتب، سأموت . ليس موتاً  
حقيقياً . موت الذاكرة . وأنا لا أريد أن أموت . أنا أريد  
أن أعيش . أنا أريد أن يحفظ سامر . أن يحفظ أولادي .  
أن يحفظ أحفادي . أن يحفظ اليمن . أن يحفظ كل  
شيء".

أبو المجد: "صمت . ثم قال بصوت هادئ" "سالم، أنت  
شجاع".

الحاجب: "لا . أنا لست شجاعاً . أنا خائف . لكنني  
أكتب . وهذا كل ما أستطيع".

أبو المجد: "وهل تكفي الكتابة؟"

الحاجب : "لا أعرف . لكنني أعرف أنها أفضل من الصمت . الصمت هو الموت . الكتابة هي الحياة . وأنا أختار الحياة" .

أبو المجد : "أنا أيضًا أختار الحياة . لكنني أختارها بطريقة مختلفة . أنا أنقذ . أنت تكتب . كلانا نقاوم . كلانا نعيش" .  
الحاجب : "نعم . نحن نقاوم . نحن نعيش . ونحن لن نستسلم" .

---

\*\*\*\*\* الرجل الذي فقد نفسه

في الليلة التالية، جلس أبو المجد وحده .

كان يفكر . كان يفكر في الحاجب . كان يفكر في سامر .  
كان يفكر في دماج . كان يفكر في كل من أنقذهم . كان يفكر في كل من لم يستطع إنقاذهم . كان يفكر في كل من ماتوا . كان يفكر في كل من نجوا .

ثم سأل نفسه السؤال الذي كان يهرب منه منذ سنوات :  
"من أنا؟"\*\*\*\*\*

لم يكن يعرف . كان قد نسي . كان قد تناسى . لكنه الليلة، أراد أن يعرف . أراد أن يتذكر . أراد أن يعود إلى نفسه .

تذكر أنه كان مهندساً قبل الحرب . كان يعمل في شركة مقاولات . كان يبني بيوتاً . كان يبني مدارس . كان يبني مستشفيات . كان يبني الحياة . ثم جاءت الحرب . ثم هدمت كل شيء . هدمت البيوت . هدمت المدارس . هدمت المستشفيات . هدمت الحياة . وأبو المجد وقف عاجزاً . لم يستطع أن يبني . لم يستطع أن يصلح . لم يستطع أن يفعل شيئاً .

ثم قرر أن يقاوم . بطريقته . لم يكن يستطيع أن يبني بيوتاً . لكنه كان يستطيع أن يُنقذ أرواحاً . كان يستطيع أن يُنقذ الناس . كان يستطيع أن يُنقذ الأطفال . كان يستطيع أن يُنقذ الحياة . وهذا ما فعله . أصبح دليلاً . أصبح مهرباً . أصبح منقذاً . أصبح كل شيء إلا نفسه .  
"من أنا؟" \*\*سأل نفسه مرة أخرى .

"أنا أبو المجد . أنا الدليل . أنا الذي يُنقذ \*\*."  
لكنه عرف أن هذا ليس جواباً . هذه وظيفة . ليس هوية . الهوية شيء آخر . الهوية هي ما كنت عليه قبل الحرب . قبل أن تصبح الحياة مجرد نجاة .  
"من أنا؟" \*\*

سأل نفسه للمرة الثالثة. ثم صمت. ثم قال لنفسه:  
"أنا رجل فقد نفسه وهو يُنقذ الآخرين. لكنني سأجد  
نفسي. في يوم ما. عندما تنتهي الحرب. عندما أعود إلى  
البناء. عندما أعود إلى الحياة. حينها، سأعرف من أنا".

**الفصل الثالث**  
**المحاميت التي لا تنحني**  
**صنعاء، ش التحرير —**  
**أواخر ٢٠١٥**

## \*\*\*\*\* المكتب الصغير

في شارع التحرير، في الطابق الثاني من بناية قديمة، كان هناك مكتب صغير.

لم يكن مكتباً نفماً. كان غرفة واحدة. فيها مكتب خشبي. وكريسيان. وخزانة ملفات. ونافاذة تطل على شارع ضيق. على الجدار، كانت هناك شهادة تخرج من كلية الشريعة والقانون. وشهادة مزاولة المهنة. وصورة قديمة لوالدها.

كانت أروى تجلس خلف المكتب.

كانت في الخامسة والثلاثين. كانت قد تخرجت من كلية الشريعة والقانون في جامعة صنعاء قبل عشر سنوات. كانت قد فتحت مكتبها قبل خمس سنوات. كانت قد دافعت عن كثيرين. لكنها لم تدافع عن أحد مثل ما دافعت عن المعتقلين.

كانت أروى تعرف أن هذا خطر. كانت تعرف أن من يدافع عن معتقلي الحوثيين، قد يصبح معتقلاً بنفسه. كانت تعرف أن من يرفع صوتاً، قد يُسكت. كانت

تعرف أن من يفتح ملفاً، قد يُغلق ملفه. لكنها كانت تستمر.  
لماذا؟

سألت نفسها هذا السؤال كل ليلة. لم تكن تعرف الجواب دائماً. أحياناً كانت تقول: "لأنني محامية. والمحامي رسالة". أحياناً كانت تقول: "لأن القانون يجب أن يُطبق". أحياناً كانت تقول: "لأنني لا أستطيع أن أبقى صامتة".

لكن، في ليلة من الليالي، سألت نفسها سؤالاً آخر: "هل أنا أفعل هذا لأنني أؤمن بالقانون؟ أم لأنني أريد أن أكون بطلة؟"

لم تجب. لم تكن تعرف الجواب. وكان هذا أصدق ما وصلت إليه.

---

\*\*\*\*\* الرجل الذي جاء بالورقة

في صباح أحد الأيام، دخل رجل. كان في الستين. كان يرتدي ثوباً بسيطاً. كان يحمل حقيبة قديمة. كان وجهه شاحباً. كان يمشي ببطء.

جلس أمام أروى .فتح الحقيبة .أخرج ورقة .وضعها على المكتب.

الرجل : "د .أروى، أريد أن تدافعي عن ابني".  
أروى : "ما اسمه؟"

الرجل : "سالم .سالم الحاجب".  
أروى : "نظرت إليه . عرفت الاسم . كانت قد سمعت به . قالت بصوت هادئ" "سالم الحاجب .من دماج".  
الرجل : "نعم".

أروى : "هل هو معتقل؟"  
الرجل : "كان معتقلاً . لكنه الآن محتفٍ . لا نعرف أين هو . لا نعرف إن كان حياً . لا نعرف إن كان ميتاً".  
أروى : "منذ متى؟"

الرجل : "منذ شهرين".  
أروى : "هل سألت؟"

الرجل : "سألت . سألت كل من يمكن أن أسأله . سألت الأمن . سألت النيابة . سألت المحكمة . قالوا : لا نعرف ! . قلت : كيف لا تعرفون؟ قالوا : لا نعرف ! . قلت : هل

هو حي؟ 'قالوا': لا نعرف! قلت: هل هو ميت؟ 'قالوا':  
'لا نعرف!'

أروى: "صمتت. ثم قالت" "أعرف هذا الجواب. هذا  
الجواب يعني: نحن نعرف، لكننا لا نريد أن نقول".  
الرجل: "نعم".

أروى: "وماذا تريد مني؟"  
الرجل: "أريد أن أرفع قضية. أريد أن أطلب  
بالمعلومات. أريد أن أعرف أين ابني. أريد أن أعرف  
إن كان حياً. أريد أن أعرف إن كان ميتاً. أريد أن  
أعرف".

أروى: "نظرت إليه. ثم قالت بصوت هادئ" "هذا  
خطر".

الرجل: "أعرف".

أروى: "قد يعتقلونك".

الرجل: "أعرف".

أروى: "قد يعتقلونني".

الرجل: "أعرف".

أروى: "قد نختفي جميعاً".

الرجل: "أعرف".

أروى: "ومع ذلك تريد أن أرفع القضية؟"

الرجل: "نعم".

أروى: "لماذا؟"

الرجل: "لأنني إذا لم أفعل، سأموت. ليس موتاً حقيقياً. موت الأمل. وأنا لا أريد أن أموت. أنا أريد أن أعرف. حتى لو كان الجواب سيئاً. الجواب أفضل من اللا معرفة".

أروى: "صمتت. ثم نظرت إلى الورقة. كانت ورقة عادية. كان فيها اسم سالم. وتاريخ الاعتقال. ومكان الاعتقال. لا شيء آخر. قالت بصوت هادئ" "سأرفع القضية".

---

\*\*\*\*\* القاضي الذي لا يسمع

في صباح اليوم التالي، وقفت أروى أمام القاضي. كانت القاعة صغيرة. كانت شبه فارغة. كان فيها القاضي. وكاتب الجلسة. وحارسان. وأروى. ووالد سالم. لم يكن هناك محامٍ للنيابة. لم يكن هناك ممثل للأمن. لم يكن هناك أحد.

القاضي: "د. أروى، ما هي دعواك؟"

أروى: "دعواي هي المطالبة بالمعلومات عن معتقل اسمه سالم الحاجب. اعتُقل قبل شهرين. لم يُبلِّغ أهله بالتهمة. لم يُحدد مكان احتجازه. لم يُسمح له بحاجٍ. لم يُعرض على قاضٍ. هذا مخالف للقانون اليمني. هذا مخالف للدستور. هذا مخالف للمواثيق الدولية".

القاضي: "نظر إلى الورقة. ثم قال بصوت هادئ" "د. أروى، أنتِ تعرفين أن هذا الملف حساس".  
أروى: "أعرف".

القاضي: "أنتِ تعرفين أن الأمن لا يعطي معلومات".  
أروى: "أعرف".

القاضي: "أنتِ تعرفين أن هذا قد يعرضك للخطر".  
أروى: "أعرف".

القاضي: "ومع ذلك تصرين؟"  
أروى: "نعم".

القاضي: "لماذا؟"

أروى: "نظرت إلى القاضي. ثم قالت بصوت هادئ"  
"لأنني محامية. والمحامي ليس وظيفة. المحامي رسالة. أنا

لا أدافع عن سالم فقط. أنا أدافع عن القانون. أنا أدافع  
عن العدالة. أنا أدافع عن الحق. إذا لم أدافع، فمن يدافع؟  
إذا لم أرفع صوتي، فمن يرفع؟ إذا لم أطلب بالمعلومات،  
فمن يطلب؟ أنا لا أخاف. أنا محامية. والمحامي لا  
يخاف".

القاضي: "صمت. ثم نظر إلى الورقة. ثم قال بصوت  
منخفض" "سأنظر في الأمر".

أروى: "متى؟"

القاضي: "لا أعرف".

أروى: "متى؟"

القاضي: "قلت لا أعرف".

أروى: "لكنك قاضٍ. يجب أن تعرف".

القاضي: "نظر إليها. في عينيه شيء من الخوف. ثم قال  
بصوت منخفض" "د. أروى، أنت لا تفهمين. أنا لست  
حرًا. أنا أيضًا خائف. أنا أيضًا مهدد. أنا أيضًا قد أختفي.  
أنا لا أستطيع أن أفعل شيئًا".

أروى: "صمت. ثم قالت بصوت هادئ" "إذن، من  
يستطيع؟"

القاضي: "لا أحد".  
أروى: "إذن، لماذا بقيت قاضياً؟"  
القاضي: "صمت. ثم قال" "لأنني لا أعرف ماذا أفعل .  
لأنني خائف .لأنني إنسان".  
أروى: "نظرت إليه. في عينها شيء من الحزن. قالت "  
"أنا أفهم .لكني لن أتوقف .سأرفع القضية .سأستمر .  
حتى لو لم يستجب أحد .حتى لو لم يسمع أحد .سأستمر .  
لأن الاستمرار نفسه انتصار".

---

#### \*\*\*\*\* التهديد الأول

في اليوم التالي، جاءت أروى إلى مكتبها. وجدت الباب  
مفتوحاً .لم تكن قد تركته مفتوحاً .دخلت. كان  
المكتب مقلوباً .كانت الأوراق مبعثرة .كانت الملفات  
ممزقة .كان الكمبيوتر محطماً.  
على الحائط، كانت هناك كتابة بالدم .لم يكن دماً  
حقيقياً .كان طلاءً أحمر .لكنه كان مكتوباً بخط واضح:  
"توقفي . أو ستندمين".

نظرت أروى إلى الكتابة. لم تصرخ. لم تبكِ. جلست على الكرسي. نظرت إلى الأوراق المبعثرة. ثم قالت لنفسها بصوت هادئ:

"لن أتوقف".\*\*

ثم قامت. ثم جمعت الأوراق. ثم رتبت الملفات. ثم اتصلت بمهندس لإصلاح الكمبيوتر. ثم جلست لتكتب القضية مرة أخرى. بخط يدها. لأن الكمبيوتر محطم.

---

\*\*\*\*\* الأم التي تحمل صورة

في اليوم نفسه، جاءت امرأة إلى مكتب أروى. كانت في الخمسين. كانت ترتدي عباءة سوداء. كانت تحمل صورة. جلست أمام أروى. وضعت الصورة على المكتب. كانت الصورة لشاب. كان في العشرين. كان يتسم.

المرأة: "د. أروى، هذا ابني. اسمه محمد. اعتُقل قبل ثمانية أشهر. لم نعرف أين. لم نعرف لماذا. سألت كل من يمكن أن أسأله. قالوا: 'لا نعرف'." أروى: "هل تعرفين أين اعتُقل؟"

المرأة: "في سجن الأمن القومي . لكنني سمعت أنهم نقلوه".

أروى: "إلى أين؟"

المرأة: "لا أعرف . سمعت أنه في "البيت الأحمر" . سجن سري . لا يعرف أحد مكانه".

أروى: "من أخبرك؟"

المرأة: "رجل خرج من السجن . كان معه . قال لي: 'محمد كان في الزنزانة المجاورة . كان يقرأ القرآن . كان يقرأ كل يوم . كان يقرأ بصوت عالٍ . ثم سمعت أنه نُقل . لم أسمع صوته بعد ذلك'".

أروى: "صمتت . ثم قالت "هل تعرفين اسم الرجل الذي أخبرك؟"

المرأة: "لا . كان خائفاً . لم يرد أن يعطي اسمه . قال فقط : 'أخبري المحامية . هي الوحيدة التي يمكن أن تساعد!'".

أروى: "نظرت إلى الصورة . كان الشاب يتسم . كان في عينيه أمل . قالت بصوت هادئ" "سأساعدك".

المرأة: "كيف؟"

أروى : "سأرفع قضية . سأطالب بالمعلومات . سأذهب  
إلى كل مكان . سأسأل كل من يمكن أن أسأله . لن  
أتوقف حتى أعرف" .

المرأة : "وماذا لو لم تعرفي؟"  
أروى : "سأعرف . أو سأموت وأنا أحاول . لكنني لن  
أتوقف" .

المرأة : "صمتت . ثم قالت بصوت منخفض " شكراً" .

---

\*\*\*\*\* الصحفي الذي عاد

في تلك الأيام ، جاء إلى مكتب أروى فارس .  
كان قد بدأ يتعافى . كان قد بدأ ينام . كان قد بدأ يكتب .  
كان قد بدأ يحكي .

فارس : "د . أروى ، أريد أن أساعد" .

أروى : "كيف؟"

فارس : "أنا صحفي . أنا أعرف كيف أكتب . أنا أعرف  
كيف أوثق . أنا أعرف كيف أوصل المعلومة . أريد أن  
أكتب عن المعتقلين . أريد أن أنشر قصصهم . أريد أن  
يعرف العالم" .

أروى : "هذا خطر" .

فارس: "أعرف".

أروى: "قد يعتقلونك مرة أخرى".

فارس: "أعرف".

أروى: "قد يعذبونك أكثر".

فارس: "أعرف".

أروى: "ومع ذلك تريد أن تكتب؟"

فارس: "نعم".

أروى: "لماذا؟"

فارس: "لأنني إذا لم أكتب، سأبقى في الزنزانة. ليس الزنزانة الحقيقية. الزنزانة في رأسي. أنا لا أستطيع أن أخرج منها إلا إذا كتبت. الكتابة هي الخروج. الكتابة هي الحرية. الكتابة هي الشفاء. أنا أريد أن أشفى. أنا أريد أن أحرر نفسي. وأنا أريد أن أحرر غيري. المعتقلون لا يستطيعون أن يتكلموا. أنا أستطيع. أنا يجب أن أتكلم. أنا يجب أن أكتب. أنا يجب أن أخبر العالم".

أروى: "نظرت إليه. ثم قالت بصوت هادئ" "سأساعدك. لكن يجب أن تكون حذرًا. يجب أن

تكتب بأمان .يجب أن تخفي ما تكتب .يجب أن تخفي المصادر".

فارس : "سأفعل".

أروى : "وماذا ستكتب؟"

فارس : "سأكتب عن سالم .سأكتب عن محمد .سأكتب عن كل معتقل .سأكتب عن كل محتفٍ .سأكتب أسماءهم .سأكتب قصصهم .سأكتب كل شيء .لأن الكتابة هي السلاح الوحيد الذي نملكه".

\*\*\*\*\* أروى تبكي

في الليل، جلست أروى وحدها في المكتب.  
كانت الأوراق مرتبة . كان الكمبيوتر قد أُصلح . كان الملف جاهزاً . لكن أروى لم تكن جاهزة.  
فتحت الملف . قرأت الاسم . سالم الحاجب . ثم محمد . ثم عشرات آخرين . كانت الأسماء تطول . كانت القصص تطول . وكانت أروى تشعر أنها صغيرة جداً . صغيرة أمام هذه الجرائم . صغيرة أمام هذا الظلم . صغيرة أمام هذا الألم.  
ثم بكت.

بكت لأول مرة منذ سنوات .بكت ليس لأنها خائفة .  
بكت لأنها متعبة .بكت لأنها لا تعرف إن كانت  
تستطيع أن تستمر .بكت لأنها تشك في نفسها .بكت  
لأنها سألت نفسها قبل قليل : "هل أنا أفعل هذا لأني  
أؤمن بالقانون؟ أم لأني أريد أن أكون بطلة؟" ولم تجد  
جواباً.

ثم مسحت دموعها .ثم نظرت إلى الملف .ثم قالت  
لنفسها:

"لا أعرف لماذا أفعل هذا .لكنني أعرف أنني سأستمر .  
حتى لو لم أعرف لماذا .حتى لو لم يفهم أحد .حتى لو  
فشلت .سأستمر .لأن الاستمرار نفسه انتصار .ولأن  
التوقف يعني أن أعترف أنهم فازوا .وأنا لن أعترف".

---

\*\*\*\*\* القضية تُرفض

في صباح اليوم التالي، حضرت أروى الجلسة.  
كانت القاعة شبه فارغة كالعادة .كان القاضي يجلس في  
مكانه .كان كاتب الجلسة يكتب .كان الحارسان  
واقفين .كان والد سالم يجلس في الزاوية .كانت أروى  
واقفة.

القاضي : "د. أروى، بعد النظر في الدعوى، قررت المحكمة رفضها".

أروى : "لماذا؟"

القاضي : "لعدم الاختصاص".

أروى : "ماذا؟"

القاضي : "لعدم الاختصاص .المحكمة لا تملك الاختصاص للنظر في هذه القضية".

أروى : "لكن هذا مخالف للقانون .القانون يمنح المحكمة الاختصاص للنظر في قضايا الاعتقال التعسفي".

القاضي : "القانون واضح .المحكمة لا تملك الاختصاص".

أروى : "القانون واضح أيضاً أن المحكمة تملك الاختصاص".

القاضي : "د. أروى، أنا لا أريد أن أناقش هذا .القرار صدر".

أروى : "لماذا؟"

القاضي : "لأن الأمن لا يعطي معلومات".

أروى : "وهذا سبب لرفض القضية؟"

القاضي : "هذا سبب".

أروى: "هذا ليس سبباً. هذا تهرب".  
القاضي: "د. أروى، انتبهي لألفاظك".  
أروى: "أنا أنتبه. لكن القانون يجب أن يُنفذ".  
القاضي: "القانون يُنفذ. القرار صدر. الجلسة انتهت".  
أروى: "صمتت. ثم نظرت إلى القاضي. في عينها دموع.  
لكنها لم تبكِ. قالت بصوت هادئ" "إذن، القانون لم  
يُنفذ. العدالة لم تُقم. لكنني لن أتوقف. سأرفع القضية  
مرة أخرى. وفي محكمة أخرى. وفي محكمة ثالثة. حتى  
أجد قاضياً يسمع. حتى أجد قانوناً يُنفذ. حتى أجد  
عدالة".

ثم خرجت من القاعة.  
كان والد سالم ينتظر في الخارج. كان يبكي. قال:  
والد سالم: "د. أروى، لماذا رفضوا؟"  
أروى: "لأنهم خائفون".  
والد سالم: "وماذا سنفعل؟"  
أروى: "سنستمر. سنرفع القضية مرة أخرى. سنذهب  
إلى محكمة أخرى. سنطالب بالمعلومات. سنستمر".  
والد سالم: "وماذا لو لم ننجح؟"

أروى : "سننجح .أو سنموت ونحن نحاول .لكننا لن

نتوقف".

والد سالم : "صمت. ثم قال بصوت منخفض " شكراً".

أروى : "لا تشكرني .افعلي شيئاً واحداً".

والد سالم : "ماذا؟"

أروى : "لا نتوقف .لا نتوقف عن البحث عن ابنك .لا

نتوقف عن المطالبة بحقك .لا نتوقف عن الأمل .لأن

الأمل هو آخر ما يملكه الإنسان".

**الفصل الرابع**  
**الطبيبة التي عادت**  
**صنعاء، مستشفى الثورة**  
**— منتصف ٢٠١٥**

\*\*\*\*\* الغرفة رقم ١٢

في الطابق الثالث من مستشفى الثورة، في الغرفة رقم ١٢، كانت تجلس طيبة.

كانت الغرفة صغيرة. مكتب خشبي. كرسي للمريض. مصباح خافت. نافذة مغلقة دائماً. على الجدار، شهادة تخرج من كلية الطب. وشهادة تخصص في الطب النفسي. وصورة قديمة. صورة رجل.

كانت د. سلى تجلس خلف المكتب.

كانت في الثامنة والثلاثين. كانت قد تخرجت من كلية الطب في جامعة صنعاء قبل اثني عشر عاماً. كانت قد تخصصت في الطب النفسي. كانت قد عملت في المستشفى لسنوات. كانت قد رأت كثيراً. لكنها لم ترَ ما رأيته في الأشهر الأخيرة.

في الغرفة رقم 12، كانت تستقبل الضحايا.

لم تكن تستقبل المرضى العاديين. كانت تستقبل من خرجوا من السجون. من نجوا من التعذيب. من رأوا الموت. من فقدوا أهاليهم. من لم يعودوا كما كانوا.

كانت النافذة مغلقة دائماً. لماذا مغلقة؟ لأن من يأتي إليها لا يجب أن يرى الخارج. الخارج يُذكرهم بما حدث .  
النافذة المغلقة تُشعرهم بالأمان.  
لكن د .سلى كانت تعرف أن النافذة المغلقة لا تُشفي .  
النافذة المغلقة تُخفي .والشفاء يحتاج إلى ضوء .لكنها كانت تُغلقها كل يوم .لأن المرضى يطلبون ذلك .ولأنها لم تكن تعرف ماذا تفعل غير ذلك.

\*\*\*\*\* الصورة القديمة

في صباح أحد الأيام، جلست د .سلى وحدها.  
كانت الغرفة فارغة . كان المكتب أمامها . كان الملف مفتوحاً . كان في الملف اسم . اسم زوجها د .خالد.  
كانت قد كتبت الاسم بنفسها . قبل ثمانية أشهر .لأنه لم يكن هناك أحد غيره ليكتبه . كان قد اعتقل في الليل .  
كان طبيباً أيضاً . كان يعمل في المستشفى نفسه . كان قد أخذ من بيته . لم يقل أحد لماذا . لم يقل أحد إلى أين .  
كانت د .سلى قد سألت . سألت كل من يمكن أن تسأله . قالوا : "لا نعرف" . قالت : "كيف لا تعرفون؟"

قالوا : "لا نعرف". قالت : "هل هو حي؟" قالوا : "لا نعرف".  
قالت : "هل هو ميت؟" قالوا : "لا نعرف".  
كانت تعيش في اللا معرفة . كانت تعيش في الانتظار .  
كانت تعيش في الخوف .  
لكنها كانت تستمر .  
كانت تأتي إلى المستشفى كل يوم . كانت تستقبل  
الضحايا . كانت تسمع . كانت تُحكي . كانت تُعالج . كانت  
تُحاول أن تُصلح ما لا يمكن إصلاحه .  
لكن الليلة ، لم يكن هناك مريض . لم يكن هناك قصة .  
لم يكن هناك شيء .  
فقط هي . فقط الاسم . فقط الغرفة .

\*\*\*\*\* الانهيار

مدّت يدها إلى الملف . ثم سحبتها . ثم مدّتها مرة أخرى .  
ثم سحبتها .  
ثم فتحت الملف .  
كان فيه ورقة . كان فيها اسم . اسم زوجها .  
قرأت الاسم . ثم أغلقت الملف .  
ثم فتحته مرة أخرى . ثم أغلقتة .

ثم بكت.

ليس لأنها حزينة. هي حزينة منذ ثمانية أشهر. بكت لأنها لم تبكِ منذ ثمانية أشهر. لأنها كانت مشغولة. كانت تُعالج. كانت تسمع. كانت تحكي. كانت تُحاول. لكن الليلة، لم يكن هناك مريض. لم يكن هناك قصة. لم يكن هناك شيء.

فقط هي. فقط الاسم. فقط الغرفة.

قالت لنفسها: "سأتوقف". قالتها بصوت مسموع. لأول مرة. "سأتوقف. لا أستطيع. لا أستطيع أن أستمّر". ثم سكنت.

ثم فتحت الملف. ثم قرأت الاسم. ثم أغلقت الملف. ثم قامت. ثم مسحت وجهها. ثم خرجت.

---

\*\*\*\*\* المريض الأول

في الغرفة المجاورة، كان هناك مريض.

كان قد جاء قبل ساعة. كان ينتظر. كان يجلس على الكرسي الخشبي. كان ينظر إلى الأرض.

كان اسمه فارس. كان في الثلاثين. كان صحفياً. كان قد خرج من السجن قبل أسابيع. كان قد أمضى ستة أشهر

في الاحتجاز . كان قد تعرض للتعذيب . كان قد رأى  
أشياء . كان قد رأى رجالاً يموتون . كان قد رأى رجالاً  
يكسرون . كان قد رأى نفسه يكسر .  
دخلت د . سلمى . جلست . نظرت إليه . قالت : " كيف  
حالك ؟ "

قال : " بخير " . قالها بصوت منخفض . كأنه يعتذر .  
قالت : " لا . أنت لست بخير " .  
لم يقل شيئاً . لم يكن يحتاج أن يقول . كانت تعرف .  
بدأت تسمع . بدأت تُعالج . بدأت تُحاول .  
فارس : " اعتقلوني في الليل . كانوا ثلاثة . كانوا ملثمين .  
دخلوا البيت . لم يطرُقوا الباب . كسروا الباب . أخذوني .  
لم يقولوا لماذا . لم يقولوا إلى أين . أمي صرخت . أختي  
بكت . لم أستطع أن أودعهم . أخذوني . وضعوني في  
سيارة . كانت نافذة السيارة مغلقة . لم أر شيئاً . بعد ساعة ،  
وصلنا . لم أعرف أين . أدخلوني إلى غرفة . كانت الغرفة  
صغيرة . كانت مظلمة . كان فيها كرسي . جعلوني أجلس .  
قيدوا يدي خلف الكرسي . تركوني . جلست ساعة .  
ساعتين . ثلاث . لم يأت أحد . ثم جاء أحدهم . كان

ملثمًا . كان يحمل عصا . بدأ يضربني . لم يسألني شيئًا . فقط .  
يضربني . ضربي على ظهري . على ساقى . على ذراعى .  
على رأسي . ثم توقف . ثم قال : ' اعترف ! قلت : ' بماذا ؟ ' .  
قال : ' اعترف أنك جاسوس ! قلت : ' لست جاسوسًا . أنا  
صحفي ! قال : ' الصحفي جاسوس ! قلت : ' لا ! ضربي  
أكثر . ثم توقف . ثم قال : ' اعترف ! قلت : ' لا ! ضربي  
أكثر . ثم توقف . ثم قال : ' اعترف ! قلت : ' لا ! استمر هذا  
ساعات . ثم جاء آخر . كان يحمل جهازًا . كان جهاز  
كهرباء . وصل الأسلاك بجسدي . ثم أدار الجهاز .  
شعرت كأنني أموت . ثم أطفأه . ثم قال : ' اعترف ! قلت :  
' لا ! أعاد . ثم قال : ' اعترف ! قلت : ' لا ! أعاد . ثم قال :  
' اعترف ! قلت : ' لا ! ثم سقطت . لم أعد أشعر بشيء . ثم  
أغمى عليّ . عندما استيقظت ، كنت في زنزانة . كانت  
الزنزانة صغيرة . كان فيها سرير . كان فيها دلو . كان فيها  
ثقب في الأرض . كانت الزنزانة مظلمة . كانت الزنزانة  
باردة . كانت الزنزانة رطبة . كنت وحدي . كنت  
وحدي لمدة . لا أعرف كم يوم . يومين . ثلاثة . ثم جاءوا .  
أخذوني إلى غرفة أخرى . كان فيها محقق . كان يجلس

على كرسي . كان يحمل ورقة . قال : فارس ، هل  
تعترف ؟ 'قلت' : لا . 'قال' : إذن ، سنستمر . استمر . استمر .  
أسبوعاً . أسبوعين . ثلاثة . كنت لا أنام . كنت لا أكل .  
كنت لا أشرب إلا قليلاً . كنت أضرب كل يوم .  
كنت أكهرب كل يوم . كنت أعلق كل يوم . كنت  
أهدد كل يوم . قالوا لي : سنقتل أختك ! قالوا :  
'سنغتصب أمك ! قالوا : سنحرق بيتك ! قلت : لا ! قالوا :  
'اعترف ! قلت : لا ! قالوا : لماذا لا تعترف ؟ قلت : لأنني  
لم أفعل شيئاً ! قالوا : كلهم يقولون ذلك ! قلت : لأنهم لم  
يفعلوا شيئاً ! قالوا : أنت تكذب ! قلت : لا ! ضربوني . ثم  
توقفوا . ثم قالوا : سنعطيك فرصة ! قلت : ما هي ؟ قالوا :  
'اكتب اعتذاراً ! قلت : اعتذاراً عن ماذا ؟ قالوا : عن  
ما كتبت ! قلت : ماذا كتبت ؟ قالوا : كتبت عنا !  
قلت : كتبت الحقيقة ! قالوا : لا يوجد حقيقة . يوجد ما  
نريد . اكتب اعتذاراً ! قلت : لا ! ضربوني . ثم توقفوا . ثم  
قالوا : سنعطيك فرصة أخيرة ! قلت : لا أريد فرصة !  
قالوا : إذن ، ستبقى هنا ! قلت : سأبقى ! تركوني . بقيت .  
بقيت شهراً . لا أعرف كم . كنت أسمع أصواتاً . كنت

أسمع صراخاً . كنت أسمع بكاءً . كنت أسمع رجالاً يموتون . كنت أسمع رجالاً يكسرون . كنت أسمع نفسي أكسر . ثم جاء يوم . فتحوا الباب . قالوا : ' اخرج ' . قلت : ' لماذا ؟ ' قالوا : ' أنت حر ' . قلت : ' لماذا ؟ ' قالوا : ' لا نعرف . اخرج ' . خرجت . لم أصدق . خرجت . رأيت الشمس . رأيت الناس . رأيت أمي . رأيت أختي . لم أستطع أن أتكلم . لم أستطع أن أبكي . لم أستطع أن أضحك . كنت واقفاً . كنت أنظر . كنت أرى . لكنني لم أكن هناك . كنت لا أزال في الزنزانة . أنا الآن في صنعاء . لكنني ما زلت في الزنزانة . أنا الآن حر . لكنني ما زلت معتقلاً . أنا الآن حي . لكنني ما زلت ميتاً .

سكت فارس . كان قد انتهى . كان يتنفس بصعوبة . كان وجهه مبللاً بالعرق . كان جسده يرتجف .

نظرت إليه د . سلمى . كانت قد سمعت كثيراً . لكنها كانت تسمع كل مرة كأنها المرة الأولى . قالت بصوت هادئ :

" فارس ، أنت لست ميتاً . أنت هنا . أنت تتكلم . أنت تحكي . أنت تتنفس . أنت حي . ما حدث لك كان بحيماً .

لكنك نجوت .أنت ناج .والناجي ليس ميتاً .الناجي هو  
من يحمل الشهادة .الناجي هو من يحكي .الناجي هو من  
يمنع النسيان .أنت ناج .وأنت الآن تفعل الشيء الوحيد  
الذي يمكن أن يشفيك .أنت تحكي".

فارس : "هل سأتحسن؟"

د. سلمى : "نعم".

فارس : "متى؟"

د. سلمى : "لا أعرف . لكنني أعرف أنك ستتحسن .  
لأنك بدأت .والبداية هي أصعب خطوة .وأنت  
خطوتها".

فارس : "صمت. ثم قال بصوت منخفض " شكراً".

د. سلمى : "لا تشكرني .افعل شيئاً واحداً".

فارس : "ماذا؟"

د. سلمى : "اكتب .اكتب ما قلته لي .اكتب كل شيء .  
لأن الكتابة هي الشفاء .والكتابة هي الحفظ .والكتابة هي  
المقاومة".

فارس : "سأكتب".

---

\*\*\*\*\* الطفلة التي لا تتكلم

في اليوم التالي، جاءت طفلة.  
كانت في التاسعة . كان اسمها ريم . كانت قد أُحضرت  
من مخيم النازحين . كانت قد رأت والدها يُعتقل . كانت  
قد رأت والدها تُضرب . كانت قد رأت أخاها يُقتل .  
كانت قد رأت كل شيء . لكنها لم تكن تتكلم .  
جلست ريم أمام د . سلى . كانت تنظر إلى الأرض .  
كانت لا تتكلم .

د . سلى : "ريم، كيف حالك؟"

ريم : "صمتت . لم تتكلم ."

د . سلى : "ريم، هل تسمعينني؟"

ريم : "صمتت . لم تتكلم ."

د . سلى : "ريم، أنا هنا لمساعدتك . لا أحد سيؤذيك ."

ريم : "صمتت . لم تتكلم ."

نظرت د . سلى إلى الطفلة . كانت تعرف ما حدث .  
كانت قد قرأت التقرير . كانت قد سمعت من نادية .  
كانت تعرف أن ريم رأت والدها يُعتقل . كانت تعرف  
أن ريم رأت والدها تُضرب . كانت تعرف أن ريم رأت

أخاها يُقتل . كانت تعرف أن ريم لم تتكلم منذ ذلك اليوم.

جلست د .سلى بجانبها .لم تتكلم .أخذت ورقة .أخذت قلمًا .وضعتهما أمام ريم .قالت:

"ريم، إذا لم تستطيعي أن تتكلمي، ارسبي .ارسبي ما تريدين .ارسبي ما حدث .ارسبي ما تشعرين به .لا أحد سيرى .أنا فقط".

نظرت ريم إلى الورقة .نظرت إلى القلم .ثم أخذت القلم .بدأت ترسم.

رسمت بيتًا .ثم رسمت رجلًا .كان الرجل يحمل بندقية .  
ثم رسمت امرأة .كانت المرأة تبكي .ثم رسمت طفلًا .  
كان الطفل ملقى على الأرض .ثم رسمت دمًا .كان الدم يخرج من الطفل .ثم رسمت نفسها .كانت واقفة .كانت تنظر .كانت لا تتكلم.

نظرت د .سلى إلى الرسم .ثم نظرت إلى ريم .قالت بصوت هادئ:

"هذا ما حدث؟"

ريم : "صمتت . ثم أومأت برأسها."

د. سلمى: "هذا أخوك؟"

ريم: "صمت. ثم أومأت برأسها."

د. سلمى: "ومن قتله؟"

ريم: "صمت. ثم أشارت إلى الرجل الذي يحمل  
البندقية."

د. سلمى: "هذا الذي يحمل البندقية؟"

ريم: "صمت. ثم أومأت برأسها."

د. سلمى: "هل تعرفين من هو؟"

ريم: "صمت. ثم نظرت إلى د. سلمى. في عينا شيء من  
الخوف. ثم أخذت القلم. كتبت كلمة واحدة. كانت  
الكلمة: "الحوثي"."

نظرت د. سلمى إلى الكلمة. ثم نظرت إلى ريم. قالت  
بصوت هادئ:

"ريم، أنت شجاعة. أنت كتبت ما رأيت. هذا مهم. هذا  
لن ينسى. أنت الآن كتبت. وهذا يعني أنك بدأت  
تشكلين. حتى لو لم تنطقي. أنت كتبت. والمكّابة كلام.  
والكلام شفاء."

نظرت ريم إليها. في عينها شيء من الأمل. شيء صغير.  
لكنه كان هناك.

\*\*\*\*\* الليلة التي فكرت فيها بالتوقف

في الليل، جلست د. سلمى وحدها.  
كانت الغرفة فارغة. كان المكتب أمامها. كان الملف  
مفتوحاً. كان في الملف اسم زوجها د. خالد.  
كانت قد فتحت الملف قبل قليل. كانت قد قرأت  
الاسم. كانت قد بكّت. ثم مسح وجهها. ثم جلست  
لتكتب.

كتبت:

"د. خالد. الزوج. الطبيب. الأب. اعتقل قبل ثمانية  
أشهر. لم يُعرف مكانه. لم يُعرف مصيره. لم يُعرف إن  
كان حياً. لم يُعرف إن كان ميتاً. زوجته تنتظر. زوجته  
تعالج. زوجته تحكي. زوجته تحاول. زوجته تستمر.  
لكنها لا تعرف إن كانت تستطيع. لكنها تستمر."  
ثم أغلقت الملف. ثم نظرت إلى النافذة. كانت مغلقة.  
ثم مدت يدها. ثم فتحتها. لأول مرة منذ أشهر. دخل  
الهواء. دخل الضوء. دخلت الحياة.

ثم قالت لنفسها:  
"سأستمر. لا أعرف لماذا. لكنني سأستمر. لأن الاستمرار  
نفسه انتصار. ولأن التوقف يعني أن أعترف أنهم فازوا.  
وأنا لن أعترف".\*\*

\*\*\*\*\* الزائرة

في إحدى الليالي، جاءت زائرة.  
كانت أروى. كانت المحامية. كانت قد سمعت عن د.  
سلمى. كانت قد سمعت عن الغرفة رقم 12. كانت قد  
أرادت أن تتعاون.  
أروى: "د. سلمى، سمعت عنك".  
د. سلمى: "ماذا سمعت؟"  
أروى: "سمعت أنك تعالجين ضحايا التعذيب. سمعت أنك  
تسمعين قصصهم. سمعت أنك تحفظين ذاكرتهم".  
د. سلمى: "نعم".  
أروى: "لماذا؟"  
د. سلمى: "لأنني طبيبة. والطبيبة تشهد. والطبيبة تكتب.  
والطبيبة تُخبر. والطبيبة لا تصمت. أنا شاهدة. والشاهدة

يجب أن نتكلم .يجب أن تكتب .يجب أن تحفظ .يجب أن تُعرف".

أروى : "أنا أيضًا شاهدة .أنا أرفع قضايا .أنا أطلب بالمعلومات .أنا أدافع عن المعتقلين .أنا أحاول أن أحقق العدالة .هل يمكن أن نعمل معاً؟"

د. سلمى : "نعم".

أروى : "لماذا؟"

د. سلمى : "لأن العلاج يحتاج إلى التوثيق .لأن الشفاء يحتاج إلى الشهادة .لأن المريض الذي يتكلم، يُشفى . لأن المريض الذي يكتب عنه، يُشفى .لأن الكتابة هي الدواء .لأن الشهادة هي الشفاء .لأن الذاكرة هي الحياة".

أروى : "وماذا سنفعل؟"

د. سلمى : "سنوثق .سنكتب .سنحفظ .سنشهد .سنبدأ بالأسماء .أسماء الذين مروا من هنا .أسماء الذين حكوأ . أسماء الذين بكوا .أسماء الذين نجوا .أسماء الذين ماتوا . سنكتب كل شيء".

أروى : "وأيّن سنحفظها؟"

د. سلمى : "في دفتر. مثل دفتر الحاجب. في دفتر آخر.  
دفتر ثانٍ. لأن الذاكرة تحتاج إلى أكثر من دفتر. إلى  
أكثر من شخص. إلى جماعة ذاكرة".  
أروى : "جماعة ذاكرة؟"

د. سلمى : "نعم. الحاجب. أم هاني. عمّار. نجاة. سحر.  
مروان. كل من يكتب. كل من يحفظ. كل من يشهد.  
نحن جماعة. جماعة الذاكرة. جماعة لا تنسى".

---

\*\*\*\*\* في الصباح

في الصباح، عادت د. سلمى إلى العمل.  
كانت ستستمر. كانت ستعالج. كانت ستسمع. كانت  
ستحكي. كانت ستقاوم. كانت ستعيش.  
في الغرفة رقم 12، جلس مريض جديد. كان في  
الثلاثين. كان اسمه يوسف. كان قد خرج من السجن  
قبل أسبوع. كان قد تعرض للتعذيب. كان قد رأى  
أشياء.

جلس يوسف أمام د. سلمى. كان صامتاً. كان ينظر إلى  
الأرض.

د. سلمى : "يوسف، كيف حالك؟"

يوسف: "بخير".

د. سلى: "لا. أنت لست بخير. أنا أرى وجهك. أنا أرى عينيك. أنت لم تتم منذ أيام".  
يوسف: "صمت. ثم قال" "لم أنم منذ خرجت".

د. سلى: "لماذا؟"

يوسف: "لأنني أخاف".

د. سلى: "من ماذا؟"

يوسف: "من أن أستيقظ فأجد نفسي في مكان آخر.  
أخاف أن أستيقظ فأجد نفسي في الزنزانة مرة أخرى.  
أخاف أن يكون كل هذا حلماً. أخاف أن أستيقظ  
فأجدهم واقفين فوقى".

د. سلى: "أنت لست في الزنزانة. أنت في صنعاء. أنت حر".

يوسف: "أعرف. لكن جسدي لا يعرف. جسدي ما زال هناك. جسدي ما زال في الزنزانة. جسدي ما زال ينتظر الضربة القادمة".

د. سلى: "صمتت. ثم قالت بصوت هادئ" "هذا ما نسميه اضطراب ما بعد الصدمة. أنت لم تعد في الزنزانة،

لكن جسدك ما زال يعيش فيها. هذا ليس ضعفاً. هذا استجابة طبيعية لما حدث لك. جسدك يحاول أن يحميك. لكنه يحميك بطريقة خاطئة. يجعلك دائماً في حالة تأهب. دائماً خائفاً. دائماً مستعداً للهرب".

يوسف: "وماذا أفعل؟"

د. سلمى: "تكلم. تحكي. تُخرج ما في داخلك. إذا بقيت الصدمة في الداخل، فإنها تأكل. وإذا خرجت، فإنها تشفى".

يوسف: "لا أستطيع أن أحكي".

د. سلمى: "لماذا؟"

يوسف: "لأنني إذا حكيت، سأعود إلى هناك. سأرى كل شيء مرة أخرى. سأشعر بكل شيء مرة أخرى. لا أريد أن أعود".

د. سلمى: "لكنك تعود كل ليلة. في أحلامك. في كوابيسك. أنت تعود كل ليلة. الفرق أنك تعود وحدك. عندما تحكي، تعود معي. وأنا سأبقى معك. لن أتركك".  
يوسف: "صمت. ثم نظر إليها. في عينه شيء من الشك.  
قال "هل ستبقين؟"

د. سلمى: "نعم".

يوسف: "لماذا؟"

د. سلمى: "لأنني طيبة. ولأنني إنسانة. ولأنني يمنية  
مثلك. ولأنني رأيت ما رأيت. ولأنني لا أستطيع أن  
أبقى صامتة. أنا لا أستطيع أن أوقف الحرب. لكنني  
أستطيع أن أساعد من نجوا منها. هذا واجبي. هذا ما  
أستطيع أن أفعله".

سكت يوسف. نظر إليها. ثم قال بصوت منخفض:

يوسف: "سأحكي".

الفصل الخامس  
مقتل الرئيس السابق  
الجثّة التي لم تسلم  
— صنعاء، شارع الستين  
٤ ديسمبر ٢٠١٧

\*\*\*\*\* الرصاصة الأخيرة

كان الصباح يهبط على صنعاء بطيئاً، ثقيلًا، كأن المدينة تعرف أن شيئاً ما يقترب ولا تعرف اسمه.

في مكان ما من شارع الستين، كان علي عبدالله صالح يجلس داخل سيارة تتحرك على عجل.

كان في السبعين من عمره.

ثلاثة عقود أو أكثر مرّت من تحت قدميه: جمهوريات، حروب، تحالفات، خصومات، ووجوه كثيرة دخلت قصره ثم خرجت منه.

كان قد قال ذات يوم:

«ليس هناك من هو قادر على حكم اليمن إلا من يجيد الرقص على رؤوس الأفاعي.»

والآن، لم يكن يرقص.

كان يحاول أن يخرج.

قبل أيام قليلة فقط، كانت البنادق التي تقف إلى جواره بنادق حلفاء. ثم تبدلت الخنادق، وتغيرت اللغة، وصارت الشوارع نفسها مقسومة بين رجال يعرفون

بعضهم منذ سنوات، لكنهم يطلقون النار على بعضهم  
للمرة الأولى.

كان صالح قد أعلن فضّ شراكته مع الحوثيين.  
وفي صنعاء، لم تعد الكلمات تُقال بلا ثمن.

اقتربت السيارة من الطريق المؤدي إلى سحان.  
كانت سحان في الاتجاه الآخر من كل شيء.

البيت.

القبيلة.

البداية.

ربما كان صالح يظن أن الوصول إليها سيمنحه فرصة  
أخرى.

لكن الطريق لم يكن مفتوحاً.

ظهر المسلحون.

توقفت السيارة.

وفي اللحظة التالية، لم يعد هناك وقت للكلمات.

ارتفعت البنادق.

انفجرت الرصاصات.

وتداخل صوت المحرك مع صوت إطلاق النار.

ثم سكن كل شيء..

بقيت السيارة.

وبقي الرجل في داخلها.

ولم تصل السيارة إلى سحنان.

في ذلك الصباح، انتهى الطريق.

\*\*\*\*\* الذين كانوا قريبين

قبل النهاية، كانت هناك أشياء كثيرة لا يعرفها أحد على

وجه اليقين.

من كان يعرف مكان صالح؟

من كان يعرف الطريق الذي سيسلكه؟

من كان يعرف أن السيارة ستخرج في ذلك الوقت؟

ومن الذي بقي قريباً منه حين بدأ المقربون يتحولون إلى

غرباء؟

ترددت روايات عن أجهزة تنصت.

وعن تحركات نُقلت إلى الحوئين.

وعن أسلحة لم تصل إلى رجال كانوا ينتظرونها.

وعن مقاتلين جمعهم مهدي مقولة، ثم لم يصل إليهم ما

كانوا ينتظرونه.

لكن الروايات كانت كثيرة.  
والأسماء أقل.  
وفي آخر الساعات، كان صالح يعرف شيئاً واحداً فقط:  
الدائرة من حوله لم تعد كما كانت.  
اتصل بأسرته.  
كان صوته مختلفاً.  
لم يكن صوت الرجل الذي اعتاد أن يخاطب حشوداً  
كاملة.  
كان صوت رجل ضاق عليه المكان.  
قال، بحسب من نقلوا آخر كلماته:  
«باعوني... باعوني...»  
ثم ذكر أسماء.  
أسماء رجال كانوا قريبين.  
رجال عرفهم طويلاً.  
رجال لم يكن أحد يعرف، في تلك اللحظة، ما الذي  
فعلوه بالضبط.  
انقطع الاتصال.  
وبقيت الأسئلة.

\*\*\*\*\* ما بعد الرصاصة

بعد مقتل صالح، لم تنته القصة.  
ربما كانت تلك هي اللحظة التي بدأت فيها قصة أخرى.  
لم تكن الجنة في مكان يمكن الوصول إليه بسهولة.  
بدأت الصور بالظهور.  
وجهه.

ملابس.

دم.

جسد ساكن على الأرض.  
كانت الصور تنتقل من هاتف إلى آخر، ومن شاشة إلى  
شاشة، أسرع من الأخبار نفسها.  
وفي إحدى الصور، كان الرأس يحمل أثر إصابة واضحة.  
لم يكن أحد في حاجة إلى شرح الصورة.  
كانت الصورة تتكلم وحدها.  
لكنها لم تكن تجيب عن السؤال الأهم:  
متى حدثت الإصابة؟

ظهر تحليل منسوب إلى طبيب شرعي يمني تحفظت  
بعض المصادر على ذكر اسمه لدواع أمنية. وبحسب ذلك

التحليل، فإن إصابة الرأس الظاهرة في الصور يُرجح أنها وقعت بعد الوفاة، وأن حالة الدم على الملابس قد تشير إلى مرور ساعات بين الإصابة والتصوير. أما إصابة البطن، فقد اعتبرها التحليل أكثر ارتباطاً بسبب الوفاة.

لكن الصور، مهما قالت، لم تستطع أن تقول كل شيء.. كانت هناك دقائق لا يعرفها أحد. كانت هناك ساعات لا يعرفها أحد. وكان هناك جسد يعرف أكثر مما يستطيع الأحياء أن يعرفوه.

كان صالح قد مات. أما ما حدث لجثته بعد ذلك، فكان شيئاً آخر.

\*\*\*\*\* الجثة

لم تُسَلَّم الجثة إلى عائلته فوراً. ولم تُعلن جنازة. ولم يظهر مكان دفن واضح يمكن للجميع التحقق منه. بدأت الأخبار تتضارب.

قال بعضهم إن الجثة بقيت في مكان تحت سيطرة الحوثيين.

وقال آخرون إنها نُقلت إلى مكان آخر.

وقيل إنها دُفنت سرّاً.

وقيل إنها نُقلت إلى سنعان.

كل رواية كانت تفتح باباً.

وكل باب يقود إلى باب آخر.

وبقي السؤال معلقاً:

أين دُفن علي عبدالله صالح؟

كان محمد المسوري، المحامي الخاص بصالح، يطالب

بالكشف عن مصير الجثمان وتسليمه، وقال إن احتجاز

الجثة جريمة أخرى تضاف إلى مقتل صالح والأمين العام

لحزب المؤتمر الشعبي العام عارف الزوكا.

وصلت المطالب إلى مسؤولين أمميين.

وطُلب أن يُسمح بدفن صالح بطريقة تليق برئيس سابق

للجمهورية اليمنية.

لكن الجواب لم يأتِ في صورة جنازة.

ولا في صورة قبر معلن.

بقيت الجثة في مكان لا يعرفه الناس.  
وبقي الرجل، الذي أمضى عمره كله في الأماكن التي  
يعرفها الجميع، غائباً في آخر مكان كان يجب أن يكون  
فيه معروفاً:

قبره.

\*\*\*\*\* رجلان

كان بين صالح والحوثيين تاريخ أطول من الرصاصة  
الأخيرة.

كانا حليفين.

ثم خصمين.

ثم التقيا مرة أخرى في تحالف غريب جمعهما ضد  
خصوم آخرين.

ثم عاد السلاح بينهما.

كان حسين بدر الدين الحوثي قد قُتل في يونيو ٢٠٠٤،  
خلال الحرب الأولى بين الحوثيين والسلطة.

وظلت جثته لسنوات موضع خلاف وروايات  
متضاربة.

ثم جاء الرابع من ديسمبر ٢٠١٧.

سقط صالح.

واختفت جثته.

كان التاريخ، في مكان ما، يعيد ترتيب حساباته بطريقته الخاصة.

لكن أحداً لم يكن يستطيع أن يعرف ما إذا كان ذلك انتقاماً، أم قراراً أمنياً، أم ورقة سياسية، أم شيئاً آخر لا يعرفه إلا الذين كانوا في الغرفة.

وهذه هي المشكلة في الحروب.

أن الحقيقة لا تختفي دائماً لأنها كاذبة.

أحياناً تختفي لأن عدد الذين يعرفونها قليل.

وأحياناً لأن الذين يعرفونها لا يريدون الكلام.

\*\*\*\*\* الصمت

مرت الأيام.

وكان الصمت أكبر من الكلام.

صمت قادة في حزب المؤتمر الشعبي العام.

صمت رجال كانوا يعرفون صالح منذ سنوات.

وصمت أفراد من عائلته.

كان أحمد علي عبدالله صالح في أبوظبي.

وكان طارق محمد صالح قد غادر صنعاء بعد المعارك.  
لم تكن البيانات كثيرة.  
ولم يكن الحديث عن الجثمان يملأ الشاشات كما كان  
ينبغي لميت بهذه الشهرة.  
ربما كان الخوف حاضراً.  
ربما كانت الحسابات السياسية حاضرة.  
ربما كان لكل رجل سببه.  
وربما كانت الحقيقة أبسط من كل ذلك:  
أن الجميع كانوا يعرفون أن صنعاء في ذلك الوقت لم تكن  
مكاناً آمناً للكلام.  
لم يجب أحد عن كل الأسئلة.  
ولذلك بقيت الأسئلة.

---

في تلك الليلة، جلس الحاجب وحده.  
أخرج دفتره القديم.  
كان الغلاف قد اهترأ من كثرة ما حمله معه.  
فتح صفحة جديدة.  
كتب التاريخ.  
ثم كتب:

علي عبدالله صالح.

توقف قليلاً.

ثم تابع:

الرئيس السابق للجمهورية اليمنية.

لم يكتب كلمة «شهيد».

ولم يكتب «مجرم».

ولم يكتب «بطل».

كان يعرف أن الكلمات الثلاث تستطيع أن تخفي

الحقيقة بقدر ما تكشفها.

كتب فقط:

قتل في ٤ ديسمبر ٢٠١٧.

ثم سطرًا آخر:

كان معه عارف الزوكا.

ثم:

لم تُسَلِّم جثته.

رفع رأسه.

ظل القلم بين أصابعه.

فكر في الرجل الذي حكم بلدًا أكثر من ثلاثين عامًا.

فكر في الذين ماتوا في حروبه.  
وفي الذين تحالف معهم.  
وفي الذين انقلب عليهم.  
وفي الذين انقلبوا عليه.  
وفي المدن التي تغيرت خلال عهده.  
وفي صنعاء التي انتهى فيها كل شيء.  
ثم كتب:  
لا يعني موت الرجل أن ما فعله قد اختفى.  
توقف.  
ثم أضاف:  
ولا يعني ما فعله أنه لم يعد إنساناً.  
أغلق الدفتر.  
لكن يده بقيت فوقه.  
كان يعرف أن التاريخ لا يطلب من الشاهد أن يحب  
الرجل الذي يكتب عنه.  
ولا أن يكرهه.  
يطلب منه فقط ألا يكذب.  
فتح الدفتر مرة أخرى.

كتب اسماً ثانياً:

عارف الزوكا.

ثم اسماً ثالثاً.

ثم رابعاً.

أسماء رجال لم يعرفهم العالم.

رجال مروا في الطريق نفسه.

رجال سقطوا في اللحظة نفسها.

رجال لم يبق منهم سوى أسماء في ذاكرة شخص واحد.

رفع الحاجب عينيه نحو النافذة.

كانت صنعاء هادئة.

الهدوء الذي يأتي بعد إطلاق النار لا يشبه الهدوء الذي

يسبقه.

في الخارج، لم يكن هناك شيء يتحرك.

وفي الداخل، كان الرجل يقلب صفحات الدفتر.

ثم وصل إلى آخر الصفحة.

كتب جملة واحدة:

«مات الرجل. وبقي السؤال: أين دُفن؟»

ظل ينظر إليها طويلاً.

ثم أغلق الدفتر.  
هذه المرة، لم يفتحه مرة أخرى.

رفض  
قصف سوق شعبي  
بالتيران المسير  
في مأرب  
اليمن — ٢٠٢٢

#### \*\*\*\*\* قرة القيادة

في قرة القيادة، كان كل شيء هادئاً. كانت الطائرة المسيرة على المدرج. كانت المحركات تعمل. كانت الأضواء الخضراء تضيء. كانت لوحة القيادة مرتبطة بالتفون الخاص. كان طلال يجلس في مكتبه الحربي. كان ينظر إلى شاشة التلفزيون.

كان في الثانية والثلاثين. كان قد تخرج من الكلية الجوية قبل سبع سنوات. كان قد تدرب على قيادة طائرة مقاتلة. كان قد حلم بأن يكون طياراً منذ أن كان طفلاً. كان يحلم بالسماء. كان يحلم بالحرية. كان يحلم بأن يحمي بلاده.

لكن الحرب غيرت الحلم. الحرب حوّلت السماء إلى جحيم. الحرب حوّلت الحرية إلى قيد. الحرب حوّلت الحماية إلى قتل.

جاء صوت في اللاسلكي:

"طلال، أنت جاهز؟"

طلال: "جاهز".

الصوت: "الهدف محدد. الإحداثيات واضحة. نفذ".

طلال : "ما هو الهدف؟"

الصوت : "تجمع للعدو\*\*".

طلال : "أين؟"

الصوت : "مأرب؛ السوق الشعبي .في المدينة ".

طلال : "صمت. ثم قال " السوق الشعبي؟"

الصوت : "نعم .السوق الشعبي .التجمع هناك".

طلال : "لكن السوق مليء بالمدنيين".

الصوت : "الهدف عسكري .نفذ".

طلال : "الهدف مدني".

الصوت\*\* : "طلال، أنت جندي .الجندي ينفذ .

اضغط".

طلال : "صمت. ثم قال " لا".

الصوت : "ماذا؟"

طلال : "لا .لن أضغط .لن أقتل مدنيين".

الصوت\*\* : "طلال، أنت تعرف ما يعنيه هذا".

طلال : "أعرف".

الصوت : "ستحاکم .ستُعدم .ستُشنق".

طلال : "أعرف".

الصوت: "ومع ذلك ترفض؟"

طلال: "نعم".

الصوت: "لماذا؟"

طلال: "لأنني طيار. والطيّار يحمي. لا يقتل. أنا لم أتدرب لأقتل مدنيين. أنا لم أحلم بالسماء لأقتل الأطفال. أنا لم أصبح طياراً لأرمي القنابل على الأسواق. أنا أرفض. انتهى".

أطفأ الاسلحة. ثم أطفأ المحرك. ثم خرج من الطائرة. مشى. مشى نحو الخيمة. كان يعرف ما ينتظره. لكنه لم يعد يخاف. لأنه كان قد فعل الشيء الصحيح.

\*\*\*\*\* القائد

في الخيمة، كان هناك القائد.

كان في الخمسين. كان يحمل رتبة عقيد. كان قد قاد الطيارين لسنوات. كان قد أرسل كثيرين إلى الموت. كان قد أرسل كثيرين إلى قتل. لكنه لم يكن مجرماً. كان منفذاً. كان يطيع الأوامر. كان يفعل ما يُقال له. كان يعتقد أن هذا واجبه.

جلس طلال أمامه. كان القائد غاضباً.

القائد: "طلال، ماذا فعلت؟"

طلال: "رفضت".

القائد: "رفضت ماذا؟"

طلال: "رفضت أن أقصف السوق".

القائد: "السوق كان هدفاً عسكرياً".

طلال: "لا. السوق كان سوقاً. كان فيه نساء. كان فيه

أطفال. كان فيه مدنيون".

القائد: "طلال، أنت لا تعرف. أنت تقود طيران مسير.

أنت لا تعرف ما هو الهدف".

طلال: "أنا أعرف. أنا رأيت الصور. أنا رأيت الموقع.

أنا رأيت المدنيين. أنا أعرف أنهم مدنيون".

القائد: "طلال، أنت جندي. أنت تنفذ الأوامر".

طلال: "أنا لست جندياً. أنا إنسان. والإنسان لا يقتل

الأبرياء. الإنسان لا يرمي القنابل على الأسواق. الإنسان

لا يقتل الأطفال".

القائد: "طلال، أنت تعرف ما يعنيه هذا".

طلال: "أعرف".

القائد: "ستحاكم. ستُعدم".

طلال : "أعرف".

القائد : "ومع ذلك ترفض؟"

طلال : "نعم".

القائد : "لماذا؟"

طلال : "لأنني إذا قتلت مدنيين، سأقتل نفسي .ليس جسدي .روحي .أنا لا أستطيع أن أعيش وأنا أعرف أنني قتلت طفلاً .أنا لا أستطيع أن أعيش وأنا أعرف أنني قتلت أمًا .أنا لا أستطيع أن أعيش وأنا أعرف أنني قتلت رجلاً كان يشتري الخبز .أنا لا أستطيع .أنا أفضل أن أموت شريفاً من أن أعيش قاتلاً".

القائد : "صمت. ثم قال بصوت هادئ" "طلال، أنت شجاع .لكنك أحق".

طلال : "لا .أنا لست أحق .أنا حر .وأنتم لستم أحراراً . أنتم عبيد .عبيد الأوامر .عبيد الحرب .عبيد الموت .أنا الوحيد الحر في هذه القاعدة .لأنني رفضت".

---

\*\*\*\*\* الزنزانة

في زنزانة صغيرة في مكان سري، كان طلال يجلس.

كان قد وُضع في الحبس الانفرادي . كان قد انتظر المحكمة . كان قد انتظر الإعدام . لكنه لم يكن خائفاً . كان هادئاً . كان حراً . كان قد فعل الشيء الصحيح . في الليلة الأولى ، جاءه حارس .

كان الحارس في العشرين . كان اسمه مراد . كان قد جُند قبل سنة . كان قد رأى أشياء . كان قد أراد أن يهرب . لكنه لم يستطع . كان خائفاً .

مراد : "أنت الطيار الذي رفض ؟"  
طلال : "نعم" .

مراد : "لماذا رفضت ؟"

طلال : "لأن الهدف كان مدنياً" .

مراد : "لكن الأوامر كانت واضحة" .

طلال : "الأوامر ليست دائماً صحيحة . أحياناً الأوامر تكون خاطئة . وأحياناً الأوامر تكون جريمة . وأنت يجب أن تعرف الفرق . وإذا لم تعرف ، يجب أن ترفض" .  
مراد : "لكن الرفض يعني الموت" .

طلال: "الموت ليس أسوأ شيء. أسوأ شيء هو أن تعيش  
جباناً. أن تعيش قاتلاً. أن تعيش مذعوراً. أنا أفضل أن  
أموت شريفاً من أن أعيش مجرماً".

مراد: "صمت. ثم قال بصوت منخفض "أنا أيضاً أريد  
أن أرفض".

طلال: "ماذا؟"

مراد: "أنا لم أرد أن أكون هنا. أنا أخذت. جُددت. لم  
أرد أن أكون جندياً. أنا أريد أن أكون طالباً. أنا أريد  
أن أتعلم. أنا أريد أن أعيش. لكنهم أخذوني. قالوا:  
'ستقاتل'. وأنا قاتلت. لكنني لم أرد. أنا مكره".

طلال: "إذن، ارفض. ارفض الآن. ارفض قبل أن  
تفعل شيئاً لا يمكن أن تغفره لنفسك".

مراد: "كيف؟"

طلال: "اهرب. اهرب الليلة. اهرب إلى أي مكان.  
اهرب إلى مأرب. اهرب إلى الاحرار. اهرب إلى  
الحرية. اهرب إلى الحرية".

مراد: "سيقتلوني".

طلال : "قد يقتلونك . لكنك ستموت حرًا . أفضل من أن تعيش عبدًا".

مراد : "لكنني خائف".

طلال : "أنا أيضًا خائف . لكنني أرفض أن يتحكم خوفي بي . أنا أرفض أن يكون الخوف هو سيدي . أنا أرفض أن أكون عبدًا للخوف . أنا حر . والخوف لا يحكم الحر".  
مراد : "صمت . ثم قال بصوت منخفض " سأساعدك".  
طلال : "كيف؟"

مراد : "سأفتح الباب . سنهرب معًا".

---

\*\*\*\*\* الماضي الذي لا يمحي

في الليلة التالية، جاء مراد مرة أخرى.

كان قد أحضر طعامًا . كان قد أحضر ماءً . كان قد أحضر خبرًا . جلس أمام طلال . كان صامتًا.

طلال : "ماذا بك؟"

مراد : "أريد أن أخبرك شيئًا".

طلال : "ماذا؟"

مراد : "أنا لم أكن مجرد حارس . أنا شاركت".

طلال : "شاركت في ماذا؟"

مراد: "في التعذيب".

طلال: "صمت. ثم قال بصوت هادئ" "ماذا؟"

مراد: "أنا ضربت معتقلين. أنا ساعدت في تعذيبهم. أنا لم أرد. لكنني فعلت. لأنهم أمروني. ولأنني خفت. ولأنني كنت جباناً".

طلال: "صمت طويلاً. كان ينظر إلى مراد. كان في عينيه شيء من الغضب. ثم قال بصوت منخفض" "أنت لست بريئاً".

مراد: "أعرف".

طلال: "أنت شاركت في تعذيب أبرياء".

مراد: "أعرف".

طلال: "كيف تريد أن أساعدك؟"

مراد: "لا أريد أن تساعدني. أريد أن تعرف من أنا. أنا لست ضحية. أنا مجرم. لكنني مجرم يحاول أن يُصلح. مجرم يحاول أن يعتذر. مجرم يحاول أن يعيش".

طلال: "صمت. ثم قال" "أنت لست بريئاً. لكنك الآن حر. والحر يجب أن يشهد. يجب أن يعترف. يجب أن يُصلح. لن أحكم عليك. لكنني سأشهد. وسأقول

الحقيقة . الحقيقة أنك شاركت . والحقيقة أنك الآن  
تحاول أن تُصلح".  
مراد : "وهل تكفي المحاولة؟"  
طلال : "لا أعرف . لكن المحاولة أفضل من لا شيء .  
المحاولة هي الحياة . والاستسلام هو الموت".

---

\*\*\*\*\* الهروب

في الليل ، فتح مراد باب الزنزانة .  
مراد : "طلال ، اخرج".  
طلال : "ماذا؟"  
مراد : "اهرب . الآن . قبل أن يفتحوا الباب في الصباح".  
طلال : "وأنت؟"  
مراد : "سأهرب معك".  
طلال : "لماذا؟"  
مراد : "لأنك قلت الحقيقة . لأنك قلت ما كنت أخاف  
أن أقوله . لأنك رفضت . وأنا أريد أن أرفض أيضاً . أنا  
أريد أن أكون حراً . أنا أريد أن أعيش".

خرج طلال من الزنزانة .خرج مراد .مشيا في الظل .  
كانا يتجنبان الحراس . كانا يتجنبان الدوريات . كانا يتجنبان  
أي شيء يمكن أن يوقفهما.

بعد ساعات، وصلا إلى السياج . كان السياج مرتفعاً .  
كان السياج مسلّحاً . لكن كان هناك ثغرة . كان مراد  
قد اكتشفها قبل أيام . كان قد خطط للهروب . لكنه لم  
يجرؤ . الآن، مع طلال، كان قد جرؤ .  
خرج طلال من الثغرة . ثم خرج مراد . كانا في الخارج .  
كانا حرين .

مراد : "إلى أين؟"

طلال : "إلى أي مكان .إلى الحرية".

مراد : "وماذا سنفعل؟"

طلال : "سنقاوم .سنحكي ما رأيناه .سنحكي ما فعلناه .  
سنحكي عن الأوامر .سنحكي عن الأهداف المدنية .  
سنحكي عن الأبرياء .سنحكي عن الحقيقة .لأن الحقيقة  
يجب أن تُقال .لأن الحقيقة يجب أن تُعرف .لأن  
الحقيقة تُحرر".

---

\*\*\*\*\* الصحراء

في الصحراء، كان طلال ومراد يمشيان.  
كانا يمشيان في الظلام. كانا يمشيان ببطء. كانا يمشيان  
بلا ماء. كانا يمشيان بلا طعام. لكنهما كانا حرين.  
وكانت الحرية تُغذيهما. الحرية تُرويهما. الحرية تُقويهما.  
مراد: "طلال، هل تعتقد أننا سننجو؟"  
طلال: "لا أعرف".  
مراد: "وإذا لم ننجُ؟"  
طلال: "إذا لم ننجُ، نموت أحرارًا. وهذا أفضل من أن  
نعيش عبيدًا".  
مراد: "لكنني خائف".  
طلال: "أنا أيضًا خائف. لكنني أرفض أن يتحكم خوفي  
بي. أنا أرفض أن يكون الخوف هو سيدي. أنا أرفض  
أن أكون عبدًا للخوف. أنا حر. والخوف لا يحكم الحر".  
مراد: "صمت. ثم قال بصوت هادئ" "طلال، أنت  
معلمي. أنت علمتني أن الحرية ليست شيئًا نأخذه. الحرية  
شيء نصنعه. نصنعه بقرار. نصنعه برفض. نصنعه بحياة.  
أو نصنعه بموت. لكننا نصنعه".

طلال : "نعم . الحرية تُصنع . كل يوم . كل لحظة . كل قرار . الحرية ليست حالة . الحرية فعل . الحرية مقاومة . الحرية اختيار . وأنا اخترت . وأنت اخترت . ونحن أحرار ."

\*\*\*\*\* القرية

بعد ثلاثة أيام، وصلا إلى قرية.

كانت القرية صغيرة . كانت القرية في الجوف . كانت القرية بعيدة عن الجبهة . كانت القرية آمنة . أو هكذا بدا . في القرية، كان هناك شيخ . كان اسمه الشيخ صالح . كان في السبعين . كان قد رأى كل شيء . كان قد رأى الحروب . كان قد رأى القصف . كان قد رأى النزوح . كان قد رأى الموت . كان قد رأى الحياة . كان يعرف الفرق .

جاء طلال ومراد إلى بيت الشيخ صالح . قالوا :

طلال : "نحن هاربان من الجيش . نحن لم نعد نريد أن نكون جزءًا من الحرب ."  
الشيخ صالح : "من أنتم ؟"

طلال : "أنا طلال . طيار . رفضت أن أقصف سوقاً شعبياً . وهذا مراد . كان حارساً . ساعدني على الهروب" .  
الشيخ صالح : "لماذا رفضت ؟"

طلال : "لأن الهدف كان مدنياً . لأنني لم أرد أن أقتل أطفالاً . لأنني لم أرد أن أقتل نساءً . لأنني لم أرد أن أقتل أبرياء" .

الشيخ صالح : "صمت . ثم قال بصوت هادئ" "أنت شجاع" .

طلال : "لا . أنا إنسان" .

الشيخ صالح : "الشجاعة ليست أن تكون إنساناً . الشجاعة أن تختار أن تكون إنساناً . أنت اخترت . أنت رفضت . أنت هربت . هذا شجاعة" .

طلال : "وماذا الآن ؟"

الشيخ صالح : "الآن ستبقون هنا . ستراحون . ستأكلون . ستشربون . ثم سنقرر" .

---

\*\*\*\*\* في الليل

في الليل ، جلس الشيخ صالح مع طلال ومراد .  
الشيخ صالح : "طلال ، ماذا ستقول للعالم ؟"

طلال : "سأقول الحقيقة . سأقول إنني كنت طياراً .  
سأقول إنني تلقيت أوامر . سأقول إنني رفضت . سأقول  
إن الأوامر كانت جريمة . سأقول إن هناك مدنيين  
يُقتلون . سأقول إن هناك أطفالاً يموتون . سأقول إن هناك  
نساءً يُدفنون تحت الأنقاض . سأقول إن هناك أبرياء  
يُقتلون بدم بارد . سأقول كل شيء" .

الشيخ صالح : "وهل تعتقد أن العالم سيسمع؟"  
طلال : "لا أعرف . لكنني أعرف أنني سأتلكم . أنا لن  
أبقى صامتاً . أنا لن أبقى متواطئاً . أنا سأتلكم . حتى لو لم  
يسمع أحد . حتى لو لم يهتم أحد . حتى لو قتلوني . أنا  
سأتلكم . لأن الصمت هو جريمة . والصمت هو خيانة .  
والصمت هو موت . وأنا أرفض أن أموت صامتاً" .

الشيخ صالح : "صمت . ثم قال بصوت هادئ" "طلال ،  
أنت شاهد . والشاهد يجب أن يتكلم . لكن يجب أن  
يعيش . لأن الشاهد الميت لا يشهد . الشاهد الميت لا  
يتكلم . الشاهد الميت يصمت . وأنت يجب أن تعيش .  
يجب أن تتكلم . يجب أن تُخبر . لأن هناك أطفالاً  
سيُقتلون غداً . وهناك نساءً سيدفنون غداً . وهناك أبرياء

سيموتون غداً .وأنت الشاهد .وأنت الصوت .وأنت  
الذاكرة".  
طلال : "سأعيش .سأتلكم .سأشهد".

---

\*\*\*\*\* الوداع

في الصباح، خرج طلال ومراد من القرية.  
كانا سيذهبان إلى صنعاء . كانا سيذهبان إلى المنظمات .  
كانا سيذهبان إلى الصحفيين . كانا سيذهبان إلى العالم .  
كانا سيخبران . كانا سيشهدان . كانا سيقاومان .  
مراد : "طلال، هل تعتقد أننا سننجح؟"  
طلال : "لا أعرف".  
مراد : "وإذا لم ننجح؟"  
طلال : "إذا لم ننجح، سنكون قد حاولنا . والمحاولة هي  
انتصار . المحاولة هي مقاومة . المحاولة هي حياة . نحن  
أحياء . ونحن أحرار . ونحن سنشهد . هذا كل ما يهم".  
مراد : "طلال، أنا نفخور أنني معك".  
طلال : "وأنا نفخور أنك هربت . أنك رفضت . أنك  
اخترت الحرية . أنت لم تعد حارساً . أنت إنسان . وأنت  
حر".

ثم مشيا .مشيا نحو المجهول .مشيا نحو الحياة .مشيا نحو  
الشهادة.

لكن، في منتصف الطريق، توقف مراد.  
مراد : "طلال، انتظر".

طلال : "ماذا؟"

مراد : "أنا لا أستطيع أن أكل".  
طلال : "لماذا؟"

مراد : "لأنني تذكرت شيئاً .أخي الصغير .في القرية .لم  
أخبرك .أخي الصغير مريض .يحتاج إلى دواء .يحتاج إلى  
طبيب .أنا يجب أن أعود".

طلال : "مراد، إذا عدت، سيقتلونك".

مراد : "أعرف .لكنني لا أستطيع أن أترك أخي .أخي  
صغير .أخي بريء .أخي يستحق أن يعيش".

طلال : "صمت. ثم قال بصوت منخفض "إذن،  
اذهب .اذهب إلى أخيك .أنا سأكل .سأشهد .سأحكي .  
سأحفظ".

مراد : "طلال، شكراً".

طلال : "لا تشكرني .افعل شيئاً واحداً".

مراد: "ماذا؟"

طلال: "عش. قاوم من أجل أخيك. قاتل من أجل نفسك. عش من أجل كل من لم يستطع أن يعيش. عش".

ثم اقترقا.

طلال مشى نحو صنعاء. مراد مشى نحو مأرب. لم يعلما أنهما لن يتقابلا مرة أخرى.

الفصل السادس  
الطفل الذي عاد من  
الجبهة  
الحدود اليمنية  
السعودية — ٢٠١٧

\*\*\*\*\* الرمل الذي لا ينتهي

في الصحراء، عند الحدود الشمالية، كان هناك طفل  
يمشي.

كان اسمه يوسف . كان في الرابعة عشرة . كان يرتدي  
ثوباً ممزقاً. كان حافي القدمين. كان يحمل قربة ماء  
فارغة. كان يمشي وحده.

كان قد خرج من الجبهة قبل ثلاثة أيام . كان قد هرب .  
لم يكن يعرف إلى أين . كان يعرف فقط أنه لا يريد أن  
يعود . كان يعرف فقط أنه يريد أن يبتعد . كان يعرف  
فقط أنه يريد أن يرى أمه.

كان يوسف قد جُند قبل عام . كان قد أخذ من  
مدرسته في صعدة . كان قد أخذ في "دورة صيفية" .  
كان قد قالوا له : "ستتعلم القرآن . ستصبح رجلاً" . كان  
قد صدّقهم . كان طفلاً . كان يريد أن يصبح رجلاً .

لكنه لم يتعلم القرآن . لم يصبح رجلاً . تعلم كيف يحمل  
بندقية . تعلم كيف يقتل . تعلم كيف يرى الدم . تعلم  
كيف يرى الموت . تعلم كيف لا يبكي . تعلم كيف لا  
يخاف . تعلم كيف يكون آلة .

في الجبهة، رأى أشياء . رأى أطفالاً مثله يموتون . رأى أطفالاً مثله يُقتلون . رأى أطفالاً مثله يُدفنون . رأى نفسه في كل طفل مات . عرف أنه سيموت . عرف أنه سيموت قريباً . عرف أنه سيموت وحيداً . عرف أنه سيموت بعيداً عن أمه .

في إحدى الليالي، قرر أن يهرب . لم يكن يعرف إلى أين . لكنه قرر أن يهرب . خرج من الخيمة . خرج من المخيم . خرج من الجبهة . مشى . مشى . مشى . مشى حتى لم يعد يسمع صوت القصف . مشى حتى لم يعد يرى النار . مشى حتى لم يعد يرى أحداً .

كان يوسف يمشي في الصحراء . كان وحده . كان خائفاً . كان جوعاناً . كان عطشاناً . لكنه كان يمشي . كان يمشي لأنه لا يريد أن يعود . كان يمشي لأنه يريد أن يعيش .

---

\*\*\*\*\* الرجل الذي وجدته  
بعد ثلاثة أيام، وجد يوسف رجلاً .

كان الرجل في الخمسين . كان يرتدي ثوباً بسيطاً . كان  
يقود شاحنة صغيرة . كان يحمل خضروات . كان يبيعها  
في القرى . كان اسمه أبو ناصر .  
رأى أبو ناصر الطفل يمشي في الصحراء . أوقف  
الشاحنة . نزل . اقترب . قال :  
أبو ناصر : "أنت من أين ؟"  
يوسف : "صمت . لم يتكلم . كان خائفاً ."  
أبو ناصر : "لا تخف . أنا لست من الجبهة . أنا تاجر . أنا  
أبيع الخضروات . أنا لا أقتل . أنا أبيع ."  
يوسف : "نظر إليه . في عينه شيء من الشك . لكنه كان  
متعباً . كان جوعاناً . كان عطشاناً . قال بصوت ضعيف "  
"أنا ... أنا من الجبهة ."  
أبو ناصر : "من الجبهة ؟"  
يوسف : "نعم ."  
أبو ناصر : "كم عمرك ؟"  
يوسف : "أربعة عشر ."  
أبو ناصر : "صمت . ثم قال بصوت هادئ "أربعة عشر .  
أنت طفل ."

يوسف: "لا .أنا لست طفلاً .أنا مقاتل .أنا كنت مقاتلاً .لكنني هربت .أنا لا أريد أن أكون مقاتلاً .أنا أريد أن أرى أمي".

أبو ناصر: "نظر إليه .في عينه شيء من الألم .قال " "أين أمك؟"

يوسف: "في صعدة .أو في مخيم .لا أعرف .أخذوني من المدرسة .قالوا: ستتعلم القرآن !لكنهم لم يعلموني القرآن .علموني كيف أقتل .أنا لا أريد أن أقتل .أنا أريد أن أرى أمي".

أبو ناصر: "صمت .ثم قال "اركب".  
يوسف: "إلى أين؟"

أبو ناصر: "إلى مكان آمن .إلى مكان يمكن أن تأكل فيه .أن تشرب .أن تنام .ثم سنبحث عن أمك".  
يوسف: "هل ستساعدني؟"

أبو ناصر: "نعم".  
يوسف: "لماذا؟"

أبو ناصر: "لأنك طفل .ولأنني أب .ولأنني لو لم أساعدك، لن أستطيع أن أنظر إلى أولادي .ولأنني يعني

مثلك .ولأنني رأيت ما رأيت .ولأنني لا أستطيع أن  
أبقى صامتاً".

\*\*\*\*\* في البيت

في بيت صغير في الجوف، جلس يوسف أمام أبي ناصر.  
كان قد أكل . كان قد شرب . كان قد استحجم . كان قد  
نام . كان قد ارتدى ثوباً نظيفاً . كان قد عاد إلى كونه  
طفلاً.

أبو ناصر: "يوسف، أريد أن أسألك أسئلة .هل يمكن؟"  
يوسف: "نعم".

أبو ناصر: "كيف أخذوك من المدرسة؟"

يوسف: "جاؤوا في الصباح . كانوا رجالاً . كانوا يحملون  
بنادق . دخلوا الصف . قالوا: 'من يريد أن يتعلم القرآن؟'  
رفعنا أيدينا . كما أطفالاً . أردنا أن نتعلم . قالوا: 'من يرفع  
يده، سيذهب إلى دورة صيفية . سيتعلم القرآن . سيصبح  
رجلاً' . رفعنا أيدينا . كلنا . أخذونا . وضعونا في شاحنة . لم  
نعد إلى بيوتنا . أخذونا إلى مخيم . كان المخيم في الصحراء .  
كان فيه خيام . كان فيه أطفال كثيرون . كما نام في  
الخيام . كما نأكل قليلاً . كما نستيقظ قبل الفجر . كما

نصلي . كما نقرأ القرآن . لكننا لم نتعلم القرآن . كما نتعلم  
الشعارات . كما نتعلم الأناشيد . كما نتعلم كيف نموت . كما  
نتعلم كيف نقتل . كما نتعلم كيف لا نخاف .

أبو ناصر : "وكم كنت في الخيم؟"

يوسف : "ثلاثة أشهر".

أبو ناصر : "ثم ماذا؟"

يوسف : "ثم أخذونا إلى الجبهة".

أبو ناصر : "إلى أين؟"

يوسف : "إلى الحدود . إلى نجران . كان هناك قتال . كان  
هناك قصف . كان هناك موت . رأيت أطفالاً يموتون .  
رأيت أطفالاً مثلي . كانوا يبكون . كانوا ينادون أمهاتهم .  
كانوا يموتون . أنا كنت خائفاً . لكنني لم أبك . لأنهم  
علّموني ألا أبكي . علّموني أن البكاء ضعف . علّموني أن  
الرجل لا يبكي . لكنني كنت أبكي في داخلي . كنت  
أبكي كل ليلة . كنت أرى أمي في المنام . كنت أسمع  
صوتها . كنت أريد أن أراها . لكنني لم أستطع . كنت  
في الجبهة . كنت في الخيم ."

أبو ناصر : "وكيف هربت؟"

يوسف: "في إحدى الليالي، كان هناك قصف . كان هناك فوضى . كان هناك نار . استغلّيت الفوضى . خرجت من الخيمة . خرجت من المخيم . مشيت . مشيت . مشيت . مشيت حتى لم أعد أسمع صوت القصف . مشيت حتى لم أعد أرى النار . مشيت حتى وجدتكَ" .  
أبو ناصر: "صمت . ثم قال بصوت هادئ" "يوسف، أنت شجاع" .

يوسف: "لا . أنا لست شجاعاً . أنا خائف" .  
أبو ناصر: "الشجاعة ليست ألا تخاف . الشجاعة أن تخاف وتهرب . أنت هربت . أنت اخترت الحياة . هذا شجاعة" .  
يوسف: "وماذا الآن؟"

أبو ناصر: "الآن ستبقى هنا . ستأكل . ستشرب . ستنام . ستلعب . ستكون طفلاً . ثم سنبحث عن أمك" .

يوسف: "هل ستجدها؟"  
أبو ناصر: "سأحاول . لا أعرف إن كنت سأجدها . لكنني سأحاول . لأنك تستحق أن تراها . لأنك تستحق أن تكون طفلاً" .

---

\*\*\*\*\* الطفلة التي ترى

في البيت، كان هناك أخت أبي ناصر . كانت في السابعة . كان اسمها هناء .

كانت تلعب مع يوسف . كانت تضحك . كانت تُريه ألعابها . كانت تحكي له قصصاً . كانت تُحبه . كان يوسف يضحك . لأول مرة منذ عام، ضحك . لأول مرة منذ عام، شعر أنه طفل .

في إحدى الليالي، جاءت هناء إلى يوسف . قالت:

هناء : "يوسف، لماذا كنت في الجبهة؟"

يوسف : "لأنهم أخذوني".

هناء : "لماذا؟"

يوسف : "لأنهم قالوا إنني سأتعلم القرآن . لكنهم لم يعلموني . علموني كيف أقتل".

هناء : "هل قتلت؟"

يوسف : "صمت . ثم قال بصوت منخفض " نعم".

هناء : "من؟"

يوسف : "لا أعرف . كانوا رجالاً . كانوا يأتون . كانوا يقاتلون . كنت أطلق النار . لم أكن أعرف من أقتل .

كنت فقط أطلق النار .لأنهم قالوا' :أطلق النار .'وأنا أطلقت".

هناء : "هل أنت حزين؟"

يوسف : "نعم".

هناء : "لماذا؟"

يوسف : "لأنني قتلت .لأنني لم أرد أن أقتل .لأنني كنت خائفاً .لأنني كنت طفلاً .لأنني كنت يجب أن أكون في المدرسة .يجب أن ألعب .يجب أن أضحك . يجب أن أكون مع أمي .لكنني كنت في الجبهة .كنت أقتل .أنا لست طفلاً .أنا قاتل".

هناء : "صمتت . ثم قالت بصوت هادئ" "لا .أنت طفل . أنت طفل قتل .لكنك ما زلت طفلاً .والطفل يمكن أن يعود .يمكن أن يلعب .يمكن أن يضحك .يمكن أن يكون طفلاً مرة أخرى .أنا سأساعدك .سألعب معك . سأضحك معك .سأجعلك طفلاً مرة أخرى".

نظر يوسف إلى هناء .في عينا شيء من الطفولة .شيء من البراءة .شيء من الأمل .قال بصوت منخفض :  
يوسف : "شكراً".

## \*\*\*\*\* الرسالة

في تلك الليالي، كان أبو ناصر يبحث.  
كان يبحث عن أم يوسف . كان يسأل . كان يذهب إلى  
الخيمات . كان يذهب إلى القرى . كان يسأل كل من  
يعرف . كان يقول : "ابحث عن امرأة اسمها أم يوسف .  
من صعدة . ابنها يوسف . أخذ إلى الجبهة . هي تبحث عنه".  
في إحدى الليالي، وجدها.  
كانت في مخيم في الجوف . كانت تجلس أمام خيمة .  
كانت تبكي . كانت تحمل صورة . كانت صورة يوسف .  
كان في العاشرة . كان يتسم .  
اقترب أبو ناصر . قال :  
أبو ناصر : "أنت أم يوسف ؟"  
المرأة : "رفعت رأسها . في عينها شيء من الخوف . قالت "  
"نعم . من أنت ؟"  
أبو ناصر : "أنا أبو ناصر . أنا وجدت ابنك".  
المرأة : "وقفت . في عينها شيء من الدهشة . قالت "  
"ماذا ؟"  
أبو ناصر : "وجدت ابنك . هو عندي . هو حي . هو بخير".

المرأة: "صرخت .صرخت صرخة سمعها كل من في الخيم .ثم بكى .ثم قالت " أين هو؟ خذني إليه .أريد أن أراه .أريد أن أضمه .أريد أن أتأكد أنه حي".  
أبو ناصر: "سأخذك إليه .لكن يجب أن تكوني هادئة . يجب أن لا تخبري أحداً .لأنهم قد يأخذونه مرة أخرى .لأنهم قد يقتلونه .لأنهم قد يقتلونك".  
المرأة: "سأكون هادئة .سأفعل أي شيء .فقط خذني إليه".

لكن، قبل أن يذهب، توقفت المرأة .نظرت إلى أبي ناصر .قالت بصوت منخفض:  
المرأة: "أريد أن أخبرك شيئاً".  
أبو ناصر: "ماذا؟"

المرأة: "أنا التي أرسلت يوسف إلى الدورة".  
أبو ناصر: "صمت . ثم قال " ماذا؟"  
المرأة: "أنا التي أرسلته .لم يكن عندي مال .لم يكن عندي طعام .لم يكن عندي شيء .جاءوا .قالوا: 'الدورة مجانية .سأكل .سيشرب .سيتعلم'. قلت: 'حسناً'. أرسلته .

لم أعرف أنهم سيأخذونه إلى الجبهة .لم أعرف أنهم  
سيعلمونه القتل .لم أعرف شيئاً .أنا آسفة .أنا آسفة جداً".  
أبو ناصر : "صمت . ثم قال بصوت هادئ" "أنتِ لستِ  
مجرمة".

المرأة : "بلى .أنا أرسلت ابني إلى الموت .أنا مجرمة".  
أبو ناصر : "لا .أنتِ كنتِ في حاجة .أنتِ كنتِ تريدان  
أن تطعمي ابنك .هم الذين خدعوك .هم الذين استغلوا  
حاجتك .أنتِ ضحية .مثل يوسف .مثل كل الأمهات".  
المرأة : "بكت .بكت كثيراً .ثم قالت بصوت منخفض"  
"هل سيغفر لي؟"

أبو ناصر : "لا أعرف .لكنني أعرف أنه يحبك .وأنا  
أعرف أن الحب أقوى من الذنب .وأنا أعرف أن  
الأمهات يخطئن .لكن الأمهات أيضاً يحبن .وأنتِ تحبين  
يوسف .وهذا يكفي".

\*\*\*\*\* اللقاء

في البيت، في الجوف، كان يوسف يجلس.  
كان يلعب مع هناء .كان يضحك .كان سعيداً .لأول  
مرة منذ عام، كان سعيداً.

ثم سمع صوتاً . صوتاً يعرفه . صوتاً لم يسمعه منذ عام .  
صوتاً كان يحلم به كل ليلة . صوتاً كان يسمعه في المنام .  
صوتاً كان يبكي عليه في الصحراء .  
كان صوت أمه .

أم يوسف : "دخلت . رأيته . صرخت " يوسف!"  
يوسف : "رفع رأسه . رآها . لم يصدق . قال بصوت  
مرتجف "أمي؟"

أم يوسف : "يوسف ! أنت حي ! أنت حي!"  
يوسف : "قام . ركض . احتضنها . بكى . بكى لأول مرة  
منذ عام . بكى كطفل . قال "أمي ! أمي ! كنت أخاف  
ألا أراك ! كنت أخاف أن أموت قبل أن أراك ! كنت  
أرى وجهك في المنام ! كنت أسمع صوتك ! كنت  
أريدك ! كنت أريدك!"

أم يوسف : "احتضنته . بكت . قالت " يوسف ! حبيبي !  
أنت هنا ! أنت حي ! لم أكن أعرف إن كنت حياً !  
كنت أبحث عنك ! كنت أذهب إلى كل مكان ! كنت  
أسأل كل من يعرف ! كنت أدعو الله كل ليلة أن يردك  
إليّ ! والآن أنت هنا ! أنت هنا!"

يوسف: "أخي، أنا آسف. أنا آسف لأنني تركتك. أنا آسف لأنني ذهبت إلى الدورة. أنا آسف لأنني صدقتهم. أنا آسف لأنني قتلت. أنا آسف. أنا آسف".  
أم يوسف: "لا. لا تقل هذا. أنت طفل. أنت لم تفعل شيئاً. هم الذين فعلوا. هم الذين أخذوك. هم الذين علموك. هم الذين أرسلوك. أنت ضحية. أنت لست مجرماً. أنت ضحية".

يوسف: "بكي أكثر. قال" لكنني قتلت. رأيته يموتون. رأيت أطفالاً يموتون. أنا كنت واحداً منهم. كنت سأموت. كنت سأموت هناك. لكنني هربت. هربت لأجلك. هربت لأنني أردت أن أراك".  
أم يوسف: "وقد رأيته. أنا هنا. أنا لن أتركك. لن أسمح لأحد أن يأخذك مرة أخرى. لن أسمح. أنا أمك. وأنا سأحميك. حتى لو مت. سأحميك".

\*\*\*\*\* الليلة الطويلة

في الليل، جلس أبو ناصر مع أم يوسف.  
أبو ناصر: "يجب أن تخرجي من اليمن".  
أم يوسف: "ماذا؟"

أبو ناصر: "إذا بقيت هنا، سيجدونه. سيعرفون أنه هرب. سيعرفون أنه عاد. سيأخذونه مرة أخرى. سيقتلونه. أو سيرسلونه إلى الجبهة مرة أخرى. يجب أن تخرجي".

أم يوسف: "إلى أين؟"

أبو ناصر: "إلى السعودية. إلى عمان. إلى أي مكان. هناك مهربون. يمكنهم أن يأخذوكم عبر الحدود. يمكنهم أن يوصلوكم إلى مكان آمن".

أم يوسف: "لكنني لا أملك مالاً".

أبو ناصر: "أنا سأدفع".

أم يوسف: "لماذا؟"

أبو ناصر: "لأن يوسف طفل. ولأنني أب. ولأنني لا أستطيع أن أتركه. ولأنني يعني مثلك. ولأنني رأيت ما رأيت. ولأنني لا أستطيع أن أبقى صامتاً".

أم يوسف: "صمتت. ثم قالت بصوت هادئ" "شكراً".

أبو ناصر: "لا تشكريني. افعلي شيئاً واحداً".

أم يوسف: "لماذا؟"

أبو ناصر: "عندما تصلين إلى بر الأمان، احكي ما حدث. احكي ما حدث ليوسف. احكي ما يحدث للأطفال في اليمن. احكي للعالم. لأن العالم لا يعرف. لأن العالم يجب أن يعرف. لأن الأطفال يجب أن لا يموتوا. لأن الأطفال يجب أن يكونوا أطفالاً. لا جنوداً".  
أم يوسف: "سأحكي".

\*\*\*\*\* الطريق إلى الحدود

في الليل، خرجت أم يوسف ويوسف مع أبي ناصر. كانوا يمشون في الصحراء. كانوا يتجنبون نقاط التفتيش. كانوا يتجنبون الدوريات. كانوا يتجنبون أي شيء يمكن أن يوقفهم.

بعد ساعات، وصلوا إلى الحدود. كان هناك رجل. كان اسمه سعيد. كان مهرباً. كان ينقل الناس عبر الحدود. كان يعرف كل الطرق. كان يعرف كل الثغرات.  
سعيد: "أبو ناصر، هؤلاء هم؟"

أبو ناصر: "نعم. أم وابنها. الابن هرب من الجبهة. يجب أن يخرجوا".  
سعيد: "إلى أين؟"

أبو ناصر: "إلى السعودية .إلى مكان آمن".  
سعيد: "نظر إلى يوسف .ثم قال " كم عمره؟"  
أبو ناصر: "أربعة عشر".  
سعيد: "أربعة عشر .كان في الجبهة؟"  
أبو ناصر: "نعم".

سعيد: "صمت . ثم قال بصوت هادئ" "أنا أيضًا كان لي  
ابن . كان في الجبهة .لم يعد .مات .لم أجد جثمانه .لم  
أعرف حتى أين دُفن".  
أبو ناصر: "أنا آسف".

سعيد: "لا تكن آسفًا .أنا سأساعدك .سأخذهم .  
سأوصلهم إلى بر الأمان .لأنني لا أريد أن يموت طفل  
آخر .لأنني لا أريد أن تعيش أم أخرى ما عشته .لأنني  
أريد أن أعيش في يمن لا يُقتل فيه الأطفال".

\*\*\*\*\*الوداع

عند الحدود، وقف أبو ناصر مع يوسف وأم يوسف.  
أبو ناصر: "هنا ننتهي .سعيد سيأخذكم .سأبقى هنا .سأعود  
إلى بيتي .سأعود إلى هنائي .سأعود إلى حياتي".  
يوسف: "لن أنساك".

أبو ناصر: "لا تنساني. لكن الأهم: لا تنسَ ما حدث .  
لا تنسَ الجبهة . لا تنسَ الأطفال الذين ماتوا . لا تنسَ  
الأطفال الذين ما زالوا هناك . لا تنسَ أن هناك من  
يقتل الأطفال . لا تنسَ أن هناك من يرسل الأطفال  
إلى الموت".

يوسف: "لن أنسى".

أبو ناصر: "وعندما تكبر، احكِ . احكِ للعالم . احكِ ما  
حدث . احكِ ما رأيت . احكِ ما فعلوه بك . احكِ ما  
فعلوه بأصدقائك . احكِ كل شيء . لأنك شاهد .  
والشاهد يجب أن يحكي".

يوسف: "سأحكي".

أبو ناصر: "نظر إلى يوسف . ثم احتضنه . قال بصوت  
هادئ" "اذهب . عش . كن طفلاً . ثم كن رجلاً . رجلاً  
يحكي . رجلاً يحفظ . رجلاً لا ينسى".

يوسف: "احتضنه . قال "شكراً".

أبو ناصر: "لا تشكرني . افعل ما يجب".

ثم مشى يوسف وأم يوسف مع سعيد . مشوا نحو  
الحدود . مشوا نحو بر الأمان . مشوا نحو حياة جديدة .

وقف أبو ناصر ينظر إليهم . كان في عينيه دموع . لم  
يمسحها . قال لنفسه:  
"يوسف، ستكون شاهداً . ستكون ذاكرة . ستكون  
أملاً".\*\*

الفصل الحادي عشر  
الرجل الذي كان يعدّ  
المعتقلين  
"البيت الأحمر"، صنعاء  
— ٢٠٢١

\*\*\*\*\* الزنانة رقم ٣

في "البيت الأحمر"، في الطابق الأرضي، في الزنانة رقم ٣، كان هناك رجل.

كان اسمه سالم . كان في الخمسين . كان قد اعتقل قبل ست سنوات . كان قد أخذ من بيته . كان قد أخذ في الليل . كان قد أخذ بلا تهمة . كان قد أخذ بلا محاكمة . كان قد أخذ بلا سبب . كان قد أخذ فقط لأنه كان هناك.

كان سالم قد عاش في الزنانة رقم 3 منذ ست سنوات . كان قد رأى رجالاً يدخلون . كان قد رأى رجالاً يخرجون . كان قد رأى رجالاً يموتون . كان قد رأى رجالاً يُعذبون . كان قد رأى رجالاً يكسرون . كان قد رأى كل شيء.

كان سالم قد بدأ يعدّ . كان يعدّ الرجال . كان يعدّ الجثث . كان يعدّ الأسماء . كان يعدّ السنوات . كان يعدّ الأيام . كان يعدّ الساعات . كان يعدّ كل شيء.

في إحدى الليالي، جلس سالم في الزنانة . كان الظلام حوله . كان الصمت حوله . كان البرد حوله . لكنه كان

يعدّ . كان يعدّ بصوت منخفض . كان يعدّ بصوت هادئ . كان يعدّ كأنه يصلي . كان يعدّ كأنه يشهد .  
"واحد . اثنان . ثلاثة . أربعة . خمسة .."  
كان يعدّ الرجال الذين دخلوا الزنانة . كان يعدّ الرجال الذين خرجوا . كان يعدّ الرجال الذين بقوا .  
"مائة . مائتان . ثلاثمائة . أربعمائة .."  
كان يعدّ الأيام . كان يعدّ الليالي . كان يعدّ السنوات .  
كان يعدّ كل شيء .

---

#### \*\*\*\*\* الرجل الجديد

في إحدى الليالي، دخل رجل جديد .  
كان في الثالثة والعشرين . كان اسمه مراد . كان قد اعتقل قبل شهر . كان قد أخذ من بيته . كان قد أخذ في الليل . كان قد أخذ بلا تهمة . كان قد أخذ بلا سبب . كان قد أخذ فقط لأنه كان هناك .  
كان مراد خائفاً . كان مرتجفاً . كان يبكي . كان يسأل .  
كان يقول : "لماذا أنا هنا؟ ماذا فعلت؟ متى سأخرج؟"

نظر سالم إلى مراد . عرف الخوف . عرف الأسئلة .  
عرف البكاء . عرف كل شيء . اقترب منه . جلس  
بجانبه . قال :

سالم : " ما اسمك ؟ "

مراد : " مراد " .

سالم : " مراد ، أنت الآن في الزنزانة رقم 3 . أنا سالم . أنا  
هنا منذ ست سنوات " .

مراد : " ست سنوات ؟ "

سالم : " نعم " .

مراد : " كيف تحملت ؟ "

سالم : " بالعدّ " .

مراد : " بالعدّ ؟ "

سالم : " نعم . أنا أعدّ . أعدّ الرجال . أعدّ الأيام . أعدّ  
السنوات . أعدّ كل شيء . لأن العدّ يحفظ . يحفظ  
الذاكرة . يحفظ الأسماء . يحفظ الحياة " .

مراد : " وماذا أعدّ أنا ؟ "

سالم : " عدّ نفسك . عدّ أيامك . عدّ أنفاسك . عدّ كل  
شيء . لأن العدّ يبقيك حياً . العدّ يبقيك إنساناً . العدّ

يبقيك حراً .حتى لو كنت في زنزانة .حتى لو كنت  
مقيداً .حتى لو كنت معذباً .العدّ يبيقيك حراً".

---

\*\*\*\*\* العدد

في الليلة التالية، جلس سالم مع مراد.  
سالم: "مراد، هل تريد أن تعرف شيئاً؟"  
مراد: "ماذا؟"

سالم: "أنا أعدّ كل من دخل الزنزانة رقم 3. أنا أعدّ كل  
من خرج. أنا أعدّ كل من مات. أنا أعدّ كل من بقي .  
هل تريد أن تعرف العدد؟"  
مراد: "نعم".

سالم: "منذ ست سنوات، دخل هذه الزنزانة ألف  
وثمائمائة وخمسة وأربعون رجلاً .خرج منها ستمائة وثلاثة  
وعشرون رجلاً .مات فيها مائتان وأربعة وسبعون  
رجلاً .بقي فيها تسعمائة وثمانية وأربعون رجلاً .أنا أحد  
التسعمائة والثمانية والأربعين .أنت الآن أحد التسعمائة  
والثمانية والأربعين".

مراد: "كيف تعرف كل هذا؟"

سالم: "لأنني أعدّ. أنا أعدّ منذ ست سنوات. أنا لم أتوقف. أنا أعدّ كل يوم. أعدّ كل ساعة. أعدّ كل لحظة. لأن العدّ هو ذا كرّتي. العدّ هو شهادتي. العدّ هو حياتي".  
مراد: "ولماذا تعدّ؟"

سالم: "لأنني إذا لم أعدّ، نسيت. وإذا نسيت، ضاعوا. وإذا ضاعوا، متنا. متنا لأن الذاكرة هي الحياة. وإذا ضاعت الذاكرة، ضاعت الحياة".

---

\*\*\*\*\* الرجل الذي عُدّ

في إحدى الليالي، دخل رجل آخر.  
كان في الثلاثين. كان اسمه فارس. كان قد عُدّ. كان قد ضُرب. كان قد كُهرّب. كان قد علّق. كان قد حُرّم من النوم. كان قد حُرّم من الطعام. كان قد حُرّم من كل شيء.

كان فارس منكسراً. كان يبكي. كان يرتجف. كان يقول: "لا أستطيع. لا أستطيع. أريد أن أموت. أريد أن أموت".

نظر سالم إلى فارس .عرف الألم .عرف الانكسار .  
عرف البكاء .عرف كل شيء .اقترب منه .جلس  
بجانبه .قال:

سالم: "فارس، لا تقل هذا".

فارس: "لماذا؟ لماذا أعيش؟ لماذا أتحمل؟ لماذا لا  
أموت؟"

سالم: "لأنك إذا مت، ربحوا .لأنك إذا مت، انتصروا .  
لأنك إذا مت، ضاع اسمك .ضاعت قصتك .ضاعت  
شهادتك .أنت لا تموت لأجلهم .أنت تعيش لأجلنا .  
لأجل كل من مات .لأجل كل من بقي .لأجل  
الذاكرة .لأجل الحياة".

فارس: "كيف أعيش؟ كيف أتحمل؟"

سالم: "بالعدّ .عدّ نفسك .عدّ أيامك .عدّ أنفاسك .عدّ كل  
شيء .لأن العدّ يبقيك حياً .العدّ يبقيك إنساناً .العدّ  
يبقيك حراً .حتى لو كنت في زنزانة .حتى لو كنت  
مقيداً .حتى لو كنت معذباً .العدّ يبقيك حراً".

فارس: "صمت. ثم قال بصوت منخفض "سأعد".

---

\*\*\*\*\* الرجل الذي مات

في إحدى الليالي، مات رجل.  
كان في الخمسين. كان اسمه عبدالله. كان قد اعتقل قبل  
أربع سنوات. كان قد مرض. كان قد طلب الدواء.  
كان قد طلب الطبيب. كان قد طلب العلاج. لكنه لم  
يحصل على شيء. مات في الزنزانة. مات وحده. مات  
في الصمت.

نظر سالم إلى عبدالله. كان قد مات. كان قد ذهب.  
كان قد انتهى. نظر سالم إلى الجثة. ثم أخذ الدفتر. أخذ  
القلم. كتب:

"عبدالله. الخمسين. اعتقل قبل أربع سنوات. مرض.  
طلب الدواء. لم يحصل. مات في الزنزانة رقم 3. مات  
وحده. مات في الصمت. مات بلا اسم. مات بلا قبر.  
لكن اسمه محفوظ. في الدفتر. في العد. في الذاكرة."\*\*

ثم أغلق الدفتر. ثم نظر إلى مراد وفارس. قال:  
سالم: "عبدالله مات. لكن اسمه لن يموت. لأنني  
حفظته. لأنني عددته. لأنني كتبت. وأنتم ستحفظونه.  
وأنتم ستعدونه. وأنتم ستكتبونه. لأن الذاكرة لا تموت.  
الذاكرة تبقى".

\*\*\*\*\* العدد الجديد

في الليلة التالية، جلس سالم مع مراد وفارس.  
سالم: "مراد، فارس، هل تريدان أن تعرفا العدد  
الجديد؟"

مراد: "نعم".

فارس: "نعم".

سالم: "منذ ست سنوات، دخل هذه الزنزانة ألف  
وثمانمائة وخمسة وأربعون رجلاً. خرج منها ستمائة وثلاثة  
وعشرون رجلاً. مات فيها مائتان وخمسة وسبعون  
رجلاً. بقي فيها تسعمائة وسبعة وأربعون رجلاً. أنا أحد  
التسعمائة والسبعة والأربعين. أنت مراد أحد التسعمائة  
والسبعة والأربعين. أنت فارس أحد التسعمائة والسبعة  
والأربعين".

مراد: "مات عبدالله".

سالم: "نعم. مات عبدالله. لكن اسمه لن يموت. لأنني  
حفظته. لأنني عددته. لأنني كتبتة. وأنتم ستحفظونه.  
وأنتم ستعدّونه. وأنتم ستكتبونه. لأن الذاكرة لا تموت.  
الذاكرة تبقى".

فارس: "وماذا بعد؟"

سالم: "بعد ماذا؟"

فارس: "بعد أن نعدّ كل شيء؟ بعد أن نحفظ كل شيء؟ بعد أن نكتب كل شيء؟ ماذا سنفعل بالدقتر؟"  
سالم: "سنحفظه. سنخبئه. سنبقيه. حتى يأتي يوم. يوم يعود فيه الين. يوم يُعرف فيه التاريخ. يوم يُحاسب فيه المجرم. في ذلك اليوم، سنخرج الدقتر. سنقول: 'هذا ما حدث. هذا ما فعلتم. هذا من قتلتم. هذا من عذبتم. هذا من أخفيتم. و نحن حفظناه. و نحن عددناه. و نحن شهدنا. و نحن لن ننسى!'"

---

\*\*\*\*\* الليلة التي أراد فيها أن ينتحر

في إحدى الليالي، جلس سالم وحده.

كان قد أمضى ست سنوات في الزنزانة. كان قد رأى مائتين وخمسة وسبعين رجلاً يموتون. كان قد كتب مائتين وخمسة وسبعين اسماً. كان قد حفظ مائتين وخمسة وسبعين قصة. كان قد حمل مائتين وخمسة وسبعين حياة على كتفيه.  
لكنه كان متعباً.

كان متعباً جسدياً . كان متعباً نفسياً . كان متعباً روحياً .  
كان متعباً من كل شيء . كان متعباً من العَدِّ . كان متعباً  
من الكتابة . كان متعباً من الحفظ . كان متعباً من  
الانتظار . كان متعباً من الأمل . كان متعباً من الحياة .  
في تلك الليلة، فكر في الانتحار .

كان يعرف كيف . كان قد رأى رجالاً يفعلون ذلك .  
كان قد رأى رجالاً يعلقون أنفسهم بملايسهم . كان قد  
رأى رجالاً يقطعون عروقهم . كان قد رأى رجالاً  
يموتون بأيديهم . كان يعرف كيف . وكان يعرف أنه  
يستطيع . وكان يعرف أنه إذا فعل ، سيرتاح . سينتهي .  
سيتوقف . لن يعد هناك عدٌّ . لن يعد هناك كتابة . لن  
يعد هناك ألم . لن يعد هناك شيء .

جلس سالم في الزاوية . كان ينظر إلى الجدار . كان يفكر .  
كان يقرر . كان يتردد . ثم قال لنفسه:  
"سالم، أنت متعب . أنت لا تستطيع أن تكمل . أنت لا  
تستطيع أن تحمل أكثر . أنت يجب أن تنهي . أنت يجب  
أن تتوقف . أنت يجب أن تموت ."

ثم صمت . ثم نظر إلى الدفتر . كان الدفتر أمامه . كان الدفتر مغلقاً . كان الدفتر مليئاً بالأسماء . كان الدفتر مليئاً بالقصص . كان الدفتر مليئاً بالحياة .

ثم فتح الدفتر . ثم قرأ اسماً . عبدالله . ثم اسماً آخر . محمد . ثم اسماً آخر . أحمد . ثم اسماً آخر . يوسف . ثم اسماً آخر . علي . كان يقرأ . كان يقرأ بصوت منخفض . كان يقرأ بصوت مرتجف . كان يقرأ وهو يبكي . كان يقرأ وهو يتذكر . كان يقرأ وهو يشهد .

ثم أغلق الدفتر . ثم قال لنفسه :  
"لا . لن أموت . لن أستسلم . لن أتوقف . لأن هناك مائتين وخمسة وسبعين اسماً في هذا الدفتر . وهناك مائتين وخمسة وسبعين قصة . وهناك مائتين وخمسة وسبعين حياة . وأنا حاملها . وأنا لن أضعها . حتى لو مت . حتى لو انتهيت . سأحملها . سأحفظها . سأكتبها . سأشهد . حتى النهاية" . \*\*

\*\*\*\*\* الرسالة

في إحدى الليالي ، وصلت رسالة . كانت رسالة مشفرة . كانت رسالة من الخارج . كانت رسالة من الحاجب . كان الحاجب قد أرسل الرسالة .

كان الحاجب يعرف أن سالم في الزنانة رقم 3. كان  
الحاجب يعرف أن سالم يعدّ. كان الحاجب يعرف أن  
سالم يحفظ.

قرأ سالم الرسالة. كانت تقول:

"سالم، نحن نعرف أنك في الزنانة رقم 3. نحن نعرف  
أنك تعدّ. نحن نعرف أنك تحفظ. نحن معك. نحن  
الشبكة. نحن الذاكرة. نحن لن ننسى. استمر. استمر.  
استمر".\*\*

قرأ سالم الرسالة. ثم قرأها مرة أخرى. ثم قرأها مرة ثالثة.  
كان الحاجب يعرفه. كان الحاجب يعرف أنه في الزنانة  
رقم 3. كان الحاجب يعرف أنه يعدّ. كان الحاجب  
يعرف أنه يحفظ. كان الحاجب يعرف كل شيء. كان  
الحاجب يعرف أنه ليس وحده.

نظر سالم إلى الرسالة. ثم نظر إلى مراد. ثم نظر إلى  
فارس. ثم قال بصوت هادئ:

"نحن لسنا وحدنا. هناك من يعرف. هناك من يحفظ.  
هناك من يعدّ. هناك من يشهد. هناك من لا ينسى. نحن  
جزء من شيء أكبر. نحن جزء من ذاكرة الين. نحن

جزء من مقاومة اليمن .نحن جزء من حياة اليمن .لن  
نستسلم .لن نتوقف .لن ننسى .سنعدّ .سنحفظ .سنكتب .  
سنبقى".\*\*

\*\*\*\*\* في الزنانة

في الليل ، جلس سالم في الزنانة.  
كان الظلام حوله . كان الصمت حوله . كان البرد  
حوله . لكنه كان يعدّ . كان يعدّ بصوت منخفض . كان  
يعدّ بصوت هادئ . كان يعدّ كأنه يصلي . كان يعدّ كأنه  
يشهد.

"واحد . اثنان . ثلاثة . أربعة . خمسة.." .  
كان يعدّ الرجال الذين دخلوا الزنانة . كان يعدّ الرجال  
الذين خرجوا . كان يعدّ الرجال الذين ماتوا . كان يعدّ  
الرجال الذين بقوا .

"مائة . مائتان . ثلاثمائة . أربعمائة.." .  
كان يعدّ الأيام . كان يعدّ الليالي . كان يعدّ السنوات .  
كان يعدّ كل شيء .

ثم توقف . ثم نظر إلى الجدار . ثم قال بصوت هادئ:

"يا الله، أشهدك .أشهدك أنني عدت .أشهدك أنني  
حفظت .أشهدك أنني كتبت .أشهدك أنني لم أنس .  
أشهدك أنني سأستمر .حتى لو مت .حتى لو اختُفيت .  
حتى لو نُسيت .سأستمر .لأن هناك رجالاً لم تُعرف  
أسمائهم .وهناك رجالاً لم تُحفظ قصصهم .وهناك رجالاً  
لم يُعرف مصيرهم .وهناك عدالة لم تُقم .سأستمر".\*\*

\*\*\*\*\* في الصباح

في الصباح، عاد سالم إلى العدّ.

كان سيستمّر . كان سيعدّ . كان سيحفظ . كان  
سيكتب . كان سيقاوم.

في الزلزلة، كان مراد يعدّ . كان فارس يعدّ . كان كل  
من بقي يعدّ . كانوا يعدّون الرجال . كانوا يعدّون الأيام .  
كانوا يعدّون السنوات . كانوا يعدّون كل شيء.

سالم: "مراد، كم عدت اليوم؟"

مراد: "عددت مائة".

سالم: "فارس، كم عدت اليوم؟"

فارس: "عددت مائتين".

سالم: "أنا عددت ثلاثمائة. معاً، عددنا ستمائة. ستمائة اسم. ستمائة قصة. ستمائة حياة. ستمائة ذاكرة. ستمائة شهادة. ستمائة نصر".

نظر سالم إلى مراد. ثم نظر إلى فارس. ثم قال بصوت هادئ:

"نحن لن ننسى. نحن سنعدّ. نحن سنحفظ. نحن سنكتب. نحن سنبقى. لأن الذاكرة لا تموت. الذاكرة تبقى." \*\*

الفصل الثاني عشر  
الطبيبة التي عادت من  
المنفى  
عدن، مستشفى  
الجمهورية — ٢٠٢٣

#### \*\*\*\*\* العيادة رقم ٤

في مستشفى الجمهورية في عدن، في الطابق الثاني، في العيادة رقم ٤، كانت تجلس طبيبة.

كانت العيادة صغيرة. مكتب خشبي. كرسيان. خزانة أدوية. نافذة تطل على فناء المستشفى. على الجدار، شهادة تخرج من كلية الطب. وشهادة تخصص في طب الأطفال. وصورة قديمة. صورة امرأة.

كانت د. هدى تجلس خلف المكتب.

كانت في الخامسة والثلاثين. كانت قد تخرجت من كلية الطب في جامعة ذمار قبل عشر سنوات. كانت قد تخصصت في طب الأطفال. كانت قد عملت في المخيمات. كانت قد رأت كثيراً. كانت قد رأت ما رآته في مأرب. كانت قد رأت الأطفال. كانت قد رأت الصدمات. كانت قد رأت الجحيم.

في العيادة رقم 4، كانت تستقبل الأطفال.

لم تكن تستقبل الأطفال العاديين. كانت تستقبل الأطفال الذين خرجوا من الجبهات. من المعسكرات. من السجون. من الحصار. من الجحيم. كانوا يأتون

مرضى . كانوا يأتون جرحى . كانوا يأتون مصدومين .  
كانوا يأتون مكسورين .

---

#### \*\*\*\*\* الصورة القديمة

في صباح أحد الأيام، جلست د .هدى وحدها.  
كانت العيادة فارغة . كان المكتب أمامها . كان الملف  
مفتوحاً . كان في الملف اسم . اسم امرأة . اسم أختها.  
كانت أختها قد ماتت قبل ثلاث سنوات . كانت قد  
ماتت في مأرب . كانت قد ماتت في المخيم . كانت قد  
ماتت لأنها لم تستطع أن تصل إلى المستشفى في الوقت .  
كانت قد ماتت لأن الطريق كان مغلقاً . كانت قد ماتت  
لأن الحرب قتلتها.

كانت د .هدى قد فعلت كل شيء لأجل أختها . كانت  
قد عملت في الخيمات لأجلها . كانت قد عالجت  
الأطفال لأجلها . كانت قد بقيت في اليمن لأجلها . كانت  
قد رفضت أن تخرج لأجلها . لكن أختها ماتت رغم  
كل شيء .

بكت د .هدى .بكت لأول مرة منذ سنوات .بكت لأنها لم تبكِ منذ سنوات .لأنها كانت مشغولة .كانت تُعالج .كانت تسمع .كانت تحكي .كانت تُحاول . لكن الليلة، لم يكن هناك مريض .لم يكن هناك قصة . لم يكن هناك شيء .

فقط هي .فقط الاسم .فقط الغرفة .  
قالت لنفسها : "سأتوقف" . قالتها بصوت مسموع .لأول مرة . "سأتوقف .لا أستطيع .لا أستطيع أن أستمّر" .  
ثم سكّنت .  
ثم فتحت الملف . ثم قرأت الاسم . ثم أغلقت الملف .  
ثم قامت . ثم مسحت وجهها . ثم خرجت .

---

#### \*\*\*\*\* المريضة الأولى

في العيادة المجاورة، كانت هناك طفلة .  
كانت قد جاءت قبل ساعة . كانت تنتظر . كانت تجلس على الكرسي الخشبي . كانت تنظر إلى الأرض .  
كان اسمها أمل . كانت في العاشرة . كانت قد خرجت من اليمن قبل سنتين . كانت قد عاشت في مخيم في

السعودية . كانت قد عادت قبل شهر . كانت قد عادت  
لتساعد . كانت قد عادت لتعيش .  
كانت أمل تحمل دفترًا . كانت تحمل قلبًا . كانت تحمل  
أملًا . جلست أمام د . هدى . كانت صامئة . كانت  
خائفة . كانت مرتجفة .

د . هدى : "أمل ، كيف حالك؟"

أمل : "بخير" .

د . هدى : "لا . أنتِ لستِ بخير . أنا أرى وجهك . أنا  
أرى عينيك . أنتِ لم تنامي منذ أيام" .  
أمل : "صمتت . ثم قالت بصوت منخفض " "لم أنم منذ  
خرجت" .

د . هدى : "لماذا؟"

أمل : "لأنني أخاف" .

د . هدى : "من ماذا؟"

أمل : "من أن أستيقظ فأجد نفسي في مكان آخر .  
أخاف أن أستيقظ فأجد نفسي في المخيم مرة أخرى .  
أخاف أن يكون كل هذا حلمًا . أخاف أن أستيقظ  
فأجدهم واقفين فوقى" .

د. هدى: "أنتِ لستِ في المخيم. أنتِ في عدن. أنتِ في اليمن. أنتِ في بيتك".  
أمل: "أعرف. لكن جسدي لا يعرف. جسدي ما زال هناك. جسدي ما زال في المخيم. جسدي ما زال ينتظر الضربة القادمة".

د. هدى: "صمتت. ثم قالت بصوت هادئ" "هذا ما نسميه اضطراب ما بعد الصدمة. أنتِ لم تعودي إلى المخيم، لكن جسدك ما زال يعيش فيه. هذا ليس ضعفاً. هذا استجابة طبيعية لما حدث لك. جسدك يحاول أن يحميك. لكنه يحميك بطريقة خاطئة. يجعلك دائماً في حالة تأهب. دائماً خائفة. دائماً مستعدة للهرب".  
أمل: "وماذا أفعل؟"

د. هدى: "تتكلم. تحكي. تُخرجين ما في داخلك. إذا بقيت الصدمة في الداخل، فإنها تأكل. وإذا خرجت، فإنها تشفى".

أمل: "لا أستطيع أن أحكي".

د. هدى: "لماذا؟"

أمل: "لأنني إذا حكيت، سأعود إلى هناك. سأرى كل شيء مرة أخرى. سأشعر بكل شيء مرة أخرى. لا أريد أن أعود".

د. هدى: "لكنك تعودين كل ليلة. في أحلامك. في كوابيسك. أنتِ تعودين كل ليلة. الفرق أنكِ تعودين وحدك. عندما تحكين، تعودين معي. وأنا سأبقى معك. لن أتركك".

أمل: "صمتت. ثم نظرت إليها. في عيناها شيء من الشك. قالت "هل ستبقين؟"

د. هدى: "نعم".

أمل: "لماذا؟"

د. هدى: "لأنني طيبة. ولأنني إنسانة. ولأنني يمنية مثلك. ولأنني رأيت ما رأيت. ولأنني لا أستطيع أن أبقى صامته. أنا لا أستطيع أن أوقف الحرب. لكنني أستطيع أن أساعد من نجوا منها. هذا واجبي. هذا ما أستطيع أن أفعله".

سكتت أمل. نظرت إليها. ثم قالت بصوت منخفض: أمل: "سأحكي".

## \*\*\*\*\* الحكاية

بدأت أمل تحكي.

أمل : "كنت في المخيم .في السعودية . كنت مع أمي .  
كنت مع أخي . كان عمره سبع سنوات . كان يلعب .  
كان يضحك . كان يحلم . ثم مرض . مرض مرضاً غريباً .  
لم نعرف ما هو . أخذناه إلى الطبيب . قال : 'يحتاج إلى  
مستشفى ! لكن المستشفى كان بعيداً . لم نستطع أن  
نوصله . لم يكن هناك سيارة . لم يكن هناك مال . لم يكن  
هناك شيء . مات أخي . مات في المخيم . مات في الخيمة .  
مات بين يدينا . لم نستطع أن ننقذه . لم نستطع أن  
نساعده . لم نستطع أن نفعل شيئاً . أنا كنت أراه . أنا  
كنت أسمع صوته . أنا كنت أرى وجهه . أنا كنت أرى  
كل شيء . ثم مات . ثم دفناه . ثم بقيت وحدي مع أمي .  
أمي بكت . أنا لم أبكِ . لم أستطع أن أبكي . كنت صامتة .  
كنت خائفة . كنت أنتظر . لكنني لم أعرف ماذا أنتظر .  
ثم جاءت الحرب . ثم جاءت الضربات . ثم جاء الموت .  
ثم جاء كل شيء . ثم عدنا إلى اليمن . ثم جئت إليك ."

سكتت أمل . كانت قد انتهت . كانت تتنفس بصعوبة .  
كان وجهها مبللاً بالعرق . كان جسدها يرتجف .  
نظرت إليها د . هدى . كانت قد سمعت كثيراً . لكنها  
كانت تسمع كل مرة كأنها المرة الأولى . قالت بصوت  
هادئ:

د . هدى : "أمل ، أنتِ لستِ ميتة . أنتِ هنا . أنتِ  
تتكلمين . أنتِ تحكين . أنتِ تتنفسين . أنتِ حية . ما حدث  
لك كان جحيماً . لكنك نجوتِ . أنتِ ناجية . والناجية  
ليست ميتة . الناجية هي من تحمل الشهادة . الناجية هي  
من تحكي . الناجية هي من تمنع النسيان . أنتِ ناجية .  
وأنتِ الآن تفعلين الشيء الوحيد الذي يمكن أن  
يشفيك . أنتِ تحكين" .

أمل : "هل سأتحسن؟"

د . هدى : "نعم" .

أمل : "متى؟"

د . هدى : "لا أعرف . لكنني أعرف أنك ستتحسنين .  
لأنك بدأتِ . والبداية هي أصعب خطوة . وأنتِ  
خطوتها" .

\*\*\*\*\* الطفل الذي عاد

في إحدى الليالي، جاء طفل.

كان في الثانية عشرة . كان اسمه يوسف . كان قد جُند .

كان قد قاتل . كان قد رأى الموت . كان قد رأى الجحيم .

كان قد عاد . كان قد هرب . كان قد وصل إلى عدن .

جلس يوسف أمام د . هدى . كان صامتاً . كان خائفاً .

كان مرتجفاً .

د . هدى : "يوسف ، كيف حالك ؟"

يوسف : "صمت ."

د . هدى : "يوسف ، أنا هنا لمساعدتك . لا أحد

سيؤذيك ."

يوسف : "صمت . ثم قال بصوت منخفض " أنا قتلت " .

د . هدى : "ماذا ؟"

يوسف : "أنا قتلت . في الجبهة . أطلقوا النار . وأنا أطلقت .

قتلت رجلاً . قتلت رجلاً لا أعرفه . قتلت رجلاً لم أرَ

وجهه . قتلت رجلاً ربما كان أباً . ربما كان أخاً . ربما

كان ابناً . قتلت رجلاً . وأنا لا أستطيع أن أنسى . أنا لا

أستطيع أن أنام. أنا لا أستطيع أن أعيش. أنا قاتل. أنا مجرم. أنا يجب أن أموت".

د. هدى: "صمتت. ثم قالت بصوت هادئ" "يوسف، أنت لم تختار أن تقتل. أنت أجبرت. أنت طفل. أنت لم تكن رجلاً. أنت كنت طفلاً. أخذوك. علموك. أرسلوك. أجبروك. أنت ضحية. أنت لست مجرمًا. أنت ضحية. والمجرم هو من أخذك. هو من علمك. هو من أرسلك. هو من أجبرك. أنت طفل. أنت يجب أن تكون طفلاً. أنت يجب أن تلعب. أنت يجب أن تضحك. أنت يجب أن تدرس. أنت يجب أن تعيش. أنت لست قاتلاً. أنت طفل. طفل أجبر على أن يكون قاتلاً. لكنه ما زال طفلاً. طفل يمكن أن يعود. طفل يمكن أن يُشفى. طفل يمكن أن يعيش".

نظر يوسف إلى د. هدى. في عينيه دموع. دموع كثيرة. دموع مكتومة. دموع من سنوات. قال بصوت مرتجف: يوسف: "هل يمكن أن أعود؟"

د. هدى: "نعم".

يوسف: "هل يمكن أن أُشفى؟"

د. هدى: "نعم".

يوسف: "هل يمكن أن أعيش؟"

د. هدى: "نعم".

يوسف: "كيف؟"

د. هدى: "بأن تحكي. بأن تكتب. بأن ترسم. بأن تلعب .

بأن تدرس. بأن تضحك. بأن تعيش. بأن تكون طفلاً .

هذا كل شيء . وهذا كل شيء".

---

\*\*\*\*\* الأم التي فقدت ابنها

في إحدى الليالي، جاءت امرأة إلى عيادة د. هدى.

كانت في الأربعين . كانت تحمل صورة . كانت صورة

ابنها . كان في الخامسة عشرة . كان قد جُند . كان قد

أُخذ من مدرسته . كان قد مات في الجبهة . كانت قد

سمعت أنه مات . كانت قد لم تجد جثمانه . كانت قد لم

تعرف حتى أين دُفن.

المرأة: "د. هدى، أريد أن أسألك".

د. هدى: "اسألي".

المرأة: "ابني مات في الجبهة . كان في الخامسة عشرة .

كان طفلاً . أخذوه . قالوا: 'سيتعلم القرآن' . لكنهم لم

يعلّوه .علّوه كيف يقتل .علّوه كيف يموت .ثم مات .  
في الجهة .لم أره .لم أودعه .لم أدفنه .أريد أن أعرف  
أين هو .أريد أن أزور قبره .أريد أن أودعه .أريد أن  
أحزن عليه .أريد أن أبكي عليه .أريد أن أودعه".  
د. هدى : "صمتت . ثم قالت بصوت هادئ" "أنا آسفة .  
أنا لا أعرف أين هو .أنا لا أستطيع أن أساعدك .لكنني  
أستطيع أن أسمعك .أستطيع أن أحزن معك .أستطيع  
أن أبكي معك .أستطيع أن أودعه معك".  
المرأة : "بكت .بكت كثيراً .بكت لأول مرة منذ شهور .  
ثم قالت بصوت منخفض "شكراً .أنا لم أبكِ منذ شهور .  
كنت أحمل الألم في قلبي .كنت أحمل الحزن في عيني .  
كنت أحمل الموت في روحي .لكنني لم أبكِ .الآن  
بكيت .الآن خرج الألم .الآن خرج الحزن .الآن خرج  
الموت .الآن أنا أستطيع أن أعيش".

---

\*\*\*\*\* الفصل

في اليوم التالي، جاء طفل.

كان في الثالثة . كان اسمه آدم . كان قد وصل قبل ساعة . كان قد أُصيب في القصف . كان قد نُزف كثيراً . كان قد وصل متأخراً . كان قد وصل شبه ميت .

د. هدى : "أدخلوه إلى غرفة الطوارئ!"

المرمضة : "د . هدى، الغرفة مليئة".

د. هدى : "أخرجوا من يمكن إخراجهم . هذا الطفل يموت".

المرمضة : "د . هدى..".

د. هدى : "قلت أخرجوا من يمكن إخراجهم!"

أدخلوا الطفل إلى غرفة الطوارئ . بدأت د . هدى العلاج . كان الطفل ينزف . كان الطفل يتألم . كان الطفل يموت . حاولت د . هدى . حاولت . حاولت . لكن الطفل مات .

د. هدى : "توقفت . نظرت إلى الطفل . كان قد مات . كان قد ذهب . كان قد انتهى . قالت بصوت مرتجف "لا . لا . لا".

المرمضة : "اقتربت . وضعت يدها على كتفها . قالت بصوت منخفض "د . هدى..".

د. هدى : "أنا قتلتك . أنا قتلتك . أنا قتلتك".

المرضة : "لا . أنتِ لم تقتليه . الحرب قتلتك . القصف قتله .  
نقص الأدوية قتله . نحن كلنا نقتل . لكننا أيضًا ننقذ .  
أنتِ أنقذتِ كثيرين . أنتِ تنقذين".

د. هدى : "لكنني قتلت طفلاً".

المرضة : "أنتِ لم تقتلي . أنتِ حاولتِ . أنتِ فعلتِ ما  
استطعتِ . الطفل مات لأن الحرب قتلتك . لأن القصف  
قتله . لأن نقص الدواء قتله . أنتِ لستِ القاتلة . أنتِ  
الطبيبة . والطبيبة تحاول . وأنتِ حاولتِ".

د. هدى : "جلست على الأرض . كانت تبكي . بكت  
لأول مرة منذ سنوات . قالت بصوت منخفض " لا  
أستطيع . لا أستطيع أن أستم".

المرضة : "جلست بجانبها . أخذت يدها . قالت بصوت  
هادئ" "ستستمرين . ليس لأنك قوية . بل لأنك طبيبة .  
والطبيبة لا تتوقف . حتى لو مات مريض . حتى لو مات  
أطفال . حتى لو مات كل شيء . الطبيبة تستمر . لأن  
هناك من يحتاجها . هناك من ينتظرها . هناك من يعيش  
بسببها . أنتِ ستستمرين . لأنك طبيبة".

د. هدى : "صمتت. ثم مسحت دموعها. ثم قامت. ثم نظرت إلى الطفل. ثم قالت " سأستمر".

---

\*\*\*\*\* في الليل

في الليل، جلست د. هدى وحدها.  
كانت تفكر. كانت تفكر في أمل. كانت تفكر في يوسف.  
كانت تفكر في المرأة التي فقدت ابنها. كانت تفكر في  
الطفل الذي مات. كانت تفكر في كل طفل. كانت  
تفكر في كل أم. كانت تفكر في كل قصة. كانت تفكر  
في كل ألم. كانت تفكر في كل أمل.  
جاءتها رسالة. كانت من سحر. كانت الصحفية. كانت  
قد كتبت عن د. هدى. كانت قد كتبت عن العيادة  
رقم 4. كانت قد كتبت عن الأطفال. كانت قد كتبت  
عن كل شيء..

قرأت د. هدى الرسالة. كانت تقول:  
"د. هدى، نُشر الخبر. عرف العالم. عرفوا أن هناك  
طبيبة تعالج أطفال الحرب. عرفوا أن هناك عيادة رقم  
4. عرفوا أن هناك أملاً. لكن يجب أن تكوني حذرة.  
يجب أن تحمي نفسك. يجب أن تحمي أطفالك. لأن

الحرب لم تنتهِ .لأن الخطر لم ينتهِ .لأن المقاومة لم تنتهِ .  
استمري .استمري .استمري .\*\*.

أغلقت د .هدى الرسالة .ثم نظرت إلى العيادة .كانت  
فارغة . كانت صامتة . كانت مظلمة . لكنها كانت تعرف  
أن العيادة ستمتلئ غداً . ستمتلئ بالأطفال . ستمتلئ بالحياة .  
ستمتلئ بالمقاومة . ستمتلئ بالأمل .

قالت لنفسها:

"غداً سأعالج . غداً سأسمع . غداً سأقاوم . غداً سأعيش .  
لأن العلاج هو السلاح . والسلاح هو الحياة . والحياة هي  
المقاومة . والمقاومة هي النصر .".\*\*

---

\*\*\*\*\* في الصباح

في الصباح، عادت د .هدى إلى العمل .  
كانت ستستمر . كانت ستعالج . كانت ستسمع . كانت  
ستقاوم . كانت ستعيش .  
في الطريق، رأت دورية حوثية . كانوا يمشون في  
الشارع . كانوا يحملون بنادق . كانوا ينظرون إلى الناس .  
كانوا يخيفون الناس . كانوا يقمعون الناس .

لم نتوقف د .هدى .لم تهرب .لم تخف .مشت .مشت في  
الشارع .مشت في الخطر .مشت في الموت .لكنها مشت  
بثبات .لأنها كانت تعرف أن كل خطوة هي مقاومة .  
وكل كلمة هي سلاح .وكل نفس هو نصر .  
في الطريق ، مرّت بجانب مدرسة قديمة . كانت المدرسة  
مهجورة . كانت المدرسة محروقة . كانت المدرسة مهدومة .  
تذكرت ما قالته أستاذة سعاد .تذكرت ما قالته سحر .  
تذكرت ما قاله الحاجب .تذكرت كل الشهود .تذكرت  
كل الذاكرة .

ثم وصلت إلى المستشفى .دخلت .أغلقت الباب .فتحت  
العيادة رقم 4.جلست على الكرسي .انتظرت الأطفال .  
انتظرت أمل .انتظرت يوسف .انتظرت كل من  
سيأتي .انتظرت الحياة .

---

الفصل الثالث عشر  
الرجل الذي كان يحمي  
الأطفال  
— عدن، حي كريتر —  
٢٠٢٣

## \*\*\*\*\* المدرسة القديمة

في حي كريتر، في مدينة عدن، كانت هناك مدرسة قديمة.

كانت المدرسة في نهاية شارع ضيق. كان سورها متصدعاً. كان بابها الخشبي قديماً. كان فيه ثقب صغير. من خلال الثقب، كان أبو ياسر يرى من يأتي. كان يرى من يمر. كان يرى من يقترب. كان يرى الخطر. كان يرى الأمل. كان يرى كل شيء.

كان أبو ياسر في الخمسين. كان قد عمل في التعليم منذ أن كان في العشرين. كان قد درّس أجيالاً. كان قد درّس أطفالاً. كان قد درّس فتيات. كان قد درّس فتیاناً. كان قد درّس كل شيء. ثم جاءت الحرب. ثم أغلقت المدارس. ثم تغير كل شيء. ثم أصبح أبو ياسر يحرس المدرسة. ليس ليحمي الكتب. بل ليحمي الأطفال. لأن الأطفال كانوا يأتون إليه. كانوا يهربون من الجبهات. كانوا يهربون من المعسكرات. كانوا يهربون من السجون. كانوا يهربون من الجحيم. كانوا يأتون إلى المدرسة. كانوا يطرقون الباب. كانوا يقولون: "أريد أن

أتعلم". كان أبو ياسر يفتح الباب . كان يُدخلهم . كان يُخفيهم . كان يُطعمهم . كان يُعلّمهم . كان يُحميهم . كان ينقذهم.

في إحدى الليالي، جلس أبو ياسر في المكتب . كان المكتب صغيراً . كان المكتب قديماً . كان المكتب مليئاً بالأوراق . كان هناك ملفات . كان هناك دفاتر . كان هناك صور . كان هناك ذاكرة.

كان أبو ياسر يفكر . كان يفكر في الأطفال . كان يفكر في الذين جاؤوا . كان يفكر في الذين ذهبوا . كان يفكر في الذين ماتوا . كان يفكر في الذين بقوا . كان يفكر في كل شيء..

---

#### \*\*\*\*\* الطفل الأول

في إحدى الليالي، طرق الباب . كان الطرق خائفاً . كان الطرق خائفاً . كان الطرق يائساً . فتح أبو ياسر الباب . كان هناك طفل . كان في التاسعة . كان اسمه عمار . كان يرتجف . كان خائفاً . كان يبكي . كان يقول:  
عمار: "أريد أن أتعلم".

أبوياسر: "من أين أنت؟"

عمار: "من الجبهة".

أبوياسر: "ماذا؟"

عمار: "من الجبهة. أخذوني من مدرستي. قالوا: ستتعلم القرآن! لكنهم لم يعلموني. علموني كيف أقتل. علموني كيف أموت. علموني كيف أكون آلة. هربت. مشيت. مشيت أياماً. مشيت حتى وصلت إليك".

أبوياسر: "صمت. ثم قال بصوت هادئ" "عمار، أنت الآن آمن. أنت في مدرستي. أنت في بيتي. أنا سأحميك. أنا سأعلمك. أنا سأطعمك. أنا سأخفيك. أنت لن تعود إلى الجبهة. أنت لن تقتل. أنت لن تموت. أنت ستتعلم. أنت ستلعب. أنت ستضحك. أنت ستعيش".

عمار: "هل ستحميني؟"

أبوياسر: "نعم".

عمار: "لماذا؟"

أبوياسر: "لأنك طفل. لأنك بريء. لأنك تستحق أن تعيش. لأنني مدير مدرسة. والمدير يحمي طلابه. وأنت الآن طالبي. وأنا سأحميك. حتى لو مت".

## \*\*\*\*\* الطفل الثاني

في إحدى الليالي، طرق الباب مرة أخرى.  
كان الطرق خافتاً. كان الطرق خائفاً. كان الطرق يائساً.  
فتح أبو ياسر الباب. كان هناك طفل. كان في الثامنة.  
كان اسمه بلال. كان يرتجف. كان خائفاً. كان يبكي.  
كان يقول:

بلال: "أريد أن أتعلم".

أبو ياسر: "من أين أنت؟"

بلال: "من المخيم".

أبو ياسر: "ماذا؟"

بلال: "من المخيم. كانوا يُدربوننا. كانوا يُعلّموننا. كانوا يُجندوننا. كنت في الدورة الصيفية. قالوا: ستتعلم القرآن! لكنهم لم يُعلّموني. علّموني كيف أحمل بندقية. علّموني كيف أموت. هربت. مشيت. مشيت أياماً. مشيت حتى وصلت إليك".

أبو ياسر: "صمت. ثم قال بصوت هادئ" "بلال، أنت الآن آمن. أنت في مدرستي. أنت في بيتي. أنا سأحميك. أنا سأعلّمك. أنا سأطعمك. أنا سأخفيك. أنت لن تعود

إلى المخيم .أنت لن تحمل بندقية .أنت لن تموت .أنت ستتعلم .أنت ستلعب .أنت ستضحك .أنت ستعيش ".  
بلال : "هل ستحميني؟"

أبو ياسر : "نعم".

بلال : "لماذا؟"

أبو ياسر : "لأنك طفل .لأنك بريء .لأنك تستحق أن تعيش .لأنني مدير مدرسة .والمدير يحمي طلابه .وأنت الآن طالب .وأنا سأحميك .حتى لو مت".

---

#### \*\*\*\*\* الطفلة الثالثة

في إحدى الليالي، طرق الباب مرة أخرى.  
كان الطرق خافتاً .كان الطرق خائفاً .كان الطرق يائساً.  
فتح أبو ياسر الباب . كانت هناك طفلة . كانت في  
السابعة . كان اسمها مريم . كانت ترتجف . كانت خائفة .  
كانت تبكي . كانت تقول:

مريم : "أريد أن أتعلم".

أبو ياسر : "من أين أنت؟"

مريم : "من السجن".

أبو ياسر : "ماذا؟"

مريم: "من السجن. أخذوني مع أمي. أخذوا أمي .  
أخذوني .وضعوني في زنزانة . كنت وحدي .كنت  
خائفة . كنت أبكي . كنت أنتظر أمي . لكنها لم تأت .  
هربت .مشيت .مشيت حتى وصلت إليك".

أبو ياسر: "صمت . ثم قال بصوت هادئ" "مريم، أنتِ  
الآن آمنة .أنتِ في مدرستي .أنتِ في بيتي .أنا سأحميك .  
أنا سأعلمك .أنا سأطعمك .أنا سأخفيك .أنتِ لن  
تعودي إلى السجن .أنتِ لن تكوني وحيدة .أنتِ لن  
تبكي .أنتِ ستتعلمين .أنتِ ستلعبين .أنتِ ستضحكين .  
أنتِ ستعيشين".

مريم: "هل ستحميني؟"

أبو ياسر: "نعم".

مريم: "لماذا؟"

أبو ياسر: "لأنك طفلة .لأنك بريئة .لأنك تستحقين أن  
تعيشي .لأنني مدير مدرسة .والمدير يحمي طلابه .وأنتِ  
الآن طالبتني .وأنا سأحميك .حتى لو مت".

---

\*\*\*\*\* المدرسة

في الصباح، فتح أبو ياسر المدرسة.

كانت المدرسة قديمة . كانت المدرسة مهجورة . كانت  
المدرسة محروقة . لكنها كانت المدرسة الوحيدة التي  
تعمل . كان فيها صف . كان فيها سبورة . كان فيها  
كراسي . كان فيها أطفال . كان فيها حياة .

جلس عمار في الصف . جلس بلال في الصف . جلست  
مريم في الصف . كانوا يتعلمون . كانوا يقرؤون . كانوا  
يكتبون . كانوا يحسبون . كانوا يلعبون . كانوا يضحكون .  
كانوا يعيشون .

أبو ياسر : "اليوم سنتعلم القراءة . سنتعلم الكتابة . سنتعلم  
الحساب . سنتعلم التاريخ . سنتعلم كل شيء . لأن التعليم  
هو السلاح . والسلاح هو الحياة . والحياة هي المقاومة .  
والمقاومة هي النصر" .

عمار : "أستاذ، ماذا سنتعلم أولاً؟"

أبو ياسر : "سنتعلم أن نكون أطفالاً . سنتعلم أن نلعب .  
سنتعلم أن نضحك . سنتعلم أن نحلم . سنتعلم أن نعيش .  
لأنكم أطفال . وأنتم تستحقون أن تكونوا أطفالاً" .  
بلال : "أستاذ، هل يمكن أن نلعب؟"

أبو ياسر: "نعم. يمكن أن تلعبوا. يمكن أن تضحكوا. يمكن أن تحملوا. يمكن أن تعيشوا. هذه مدرستكم. وهذا بيتكم. ونحن عائلة. عائلة التعليم. عائلة الحياة. عائلة الأمل".

مريم: "أستاذ، هل يمكن أن نكون سعداء؟"  
أبو ياسر: "نظر إلى مريم. في عينيه دموع. دموع كثيرة. دموع مكتومة. دموع من سنوات. قال بصوت مرتجف "نعم. يمكن أن تكونوا سعداء. يمكن أن تكونوا أطفالاً. يمكن أن تكونوا أحراراً. يمكن أن تكونوا أحياء. لأنكم تستحقون. لأنكم أطفال. وأنتم أملنا. وأنتم مستقبلنا. وأنتم اليمين".

---

\*\*\*\*\* الخطأ

في أحد الأيام، جاء طفل جديد.  
كان في الحادية عشرة. كان اسمه زياد. كان قد وصل في الليل. كان قد طرق الباب. كان قد قال: "أريد أن أتعلم". لكن أبو ياسر شكّ فيه.

كان زياد يرتدي ملابس نظيفة . كان زياد يحمل حقيبة جديدة . كان زياد يتكلم بعربية فصيحة . كان زياد يعرف أشياء لا يعرفها الأطفال الذين فروا من الجبهات .

أبوياسر : "من أين أنت؟"

زياد : "من الجبهة" .

أبوياسر : "من أي جبهة؟"

زياد : "من الحدود" .

أبوياسر : "كيف هربت؟"

زياد : "مشيت" .

أبوياسر : "مشيت كم يوماً؟"

زياد : "ثلاثة" .

أبوياسر : "وماذا أكلت؟"

زياد : "لا شيء" .

أبوياسر : "كيف وصلت إلينا؟"

زياد : "أعرف الطريق" .

أبوياسر : "صمت . ثم قال بصوت هادئ" "زياد، أنا أريد

أن أساعدك . لكنني يجب أن أعرف الحقيقة . من

أرسلك؟"

زياد : "صمت."

أبوياسر : "زياد، أنا لا أريد أن أؤذيك . لكنني يجب أن أحمي الأطفال الذين هنا . إذا كنت جاسوساً، فهم في خطر".

زياد : "صمت. ثم قال بصوت منخفض " أنا لست جاسوساً".

أبوياسر : "إذن من أرسلك؟"

زياد : "لا أحد . أنا أردت أن أتعلم . سمعت عن مدرستك . جئت".

أبوياسر : "نظر إلى زياد . كان في عينيه شيء من الصدق . لكنه لم يكن متأكداً . قال بصوت هادئ " زياد، أنا آسف . لكنني لا أستطيع أن أدخلك . ليس الآن . اذهب . عد بعد أسبوع . إذا كنت لا تزال تريد أن نتعلم، سأدخلك . لكن الآن، اذهب".

زياد : "نظر إلى أبوياسر . في عينيه دموع . قال بصوت مرتجف " أنا لا أملك مكاناً أذهب إليه".  
أبوياسر : "أنا آسف".

زياد : "مشى . مشى نحو الباب . ثم توقف . ثم نظر إلى أبي ياسر . قال بصوت منخفض " "أنا لست جاسوساً . أنا فقط طفل . مثلهم" .

ثم خرج . ثم أغلق الباب . ثم ذهب .  
جلس أبو ياسر على الكرسي . كان يشعر بالذنب . كان يعرف أنه ربما أخطأ . كان يعرف أنه ربما طرد طفلاً بريئاً . لكنه كان يحمي الأطفال الآخرين . وكان يجب أن يختار . وكان الاختيار مؤلماً .

\*\*\*\*\* البحث

في اليوم التالي، خرج أبو ياسر يبحث عن زياد .  
كان قد أمضى الليل يفكر . كان قد أمضى الليل يتذكر وجه زياد . كان قد أمضى الليل يتذكر كلماته : "أنا لست جاسوساً . أنا فقط طفل . مثلهم" .

خرج أبو ياسر في الصباح . مشى في الشارع . سأل الناس . سأل الباعة . سأل الأطفال . سأل كل من يعرف . كان يبحث عن طفل في الحادية عشرة . كان يبحث عن طفل يحمل حقيبة جديدة . كان يبحث عن طفل يتكلم بعربية فصيحة .

بعد ساعات، وجده.

كان زياد يجلس في زاوية شارع . كان يبكي . كان  
مرتجفاً . كان وحيداً . كان خائفاً.

أبو ياسر: "زياد".

زياد: "رفع رأسه . رأى أبا ياسر . في عينيه شيء من  
الدهشة . قال بصوت مرتجف " "أستاذ؟"

أبو ياسر: "زياد، أنا آسف".

زياد: "على ماذا؟"

أبو ياسر: "على أنني طردتك . أنا لم أكن متأكداً . أنا  
كنت خائفاً . لكنني الآن أعرف . أنت لست جاسوساً .  
أنت طفل . مثلهم . مثل عمار . مثل بلال . مثل مريم .  
وأنا آسف".

زياد: "بكي . بكى كثيراً . ثم قال بصوت منخفض " "أنا  
لم أكن أعرف إلى أين أذهب . أنا لم أكن أعرف  
أحدًا . أنا فقط أردت أن أتعلم".

أبو ياسر: "أعرف . وأنا آسف . تعال . تعال إلى المدرسة .  
تعال إلى بيتي . تعال إلى عائلتك".

زياد: "هل تقبلني؟"

أبوياسر: "نعم. أقبلك. وأعتذر. وأحميك. حتى لو مت".  
ثم احتضنه. ثم مشياً معاً نحو المدرسة.

---

\*\*\*\*\* الزائرة

في إحدى الليالي، جاءت زائرة.  
كانت د. سلمى. كانت الطيبة النفسية. كانت قد سمعت  
عن أبي ياسر. كانت قد سمعت عن المدرسة. كانت قد  
سمعت عن الأطفال. كانت قد أرادت أن تساعد.  
د. سلمى: "أبوياسر، سمعت عنك".  
أبوياسر: "ماذا سمعت؟"  
د. سلمى: "سمعت أنك تحمي الأطفال. سمعت أنك  
تُعلمهم. سمعت أنك تُنقذهم".  
أبوياسر: "نعم".  
د. سلمى: "لماذا؟"

أبوياسر: "لأنني مدير مدرسة. والمدير يحمي طلابه. والمدير  
يُعلم طلابه. والمدير يُنقذ طلابه. أنا أدرس منذ عشرين  
عاماً. درست أجيالاً. درست أطفالاً. درست فتيات.  
 درست فتياناً. درست كل شيء. ثم جاءت الحرب. ثم  
أُغلقت المدارس. ثم منع التعليم. ثم أدخلوا التعبئة. ثم

صارت المدارس مصانع للتجنيد. وأنا رفضت. رفضت. رفضت.  
أن أعلّم التجنيد. رفضت أن أعلّم الكراهية. رفضت أن  
أعلّم الموت. فتحت مدرسة سرية. مدرسة تُعلّم الحياة.  
مدرسة تُعلّم العلم. مدرسة تُعلّم الحرية. مدرسة تُعلّم  
المقاومة. مدرسة تُعلّم الأمل".

د. سلمى: "أنا أعالج الضحايا. أعالج من نجوا. أعالج  
الأطفال. أعالج النساء. أعالج كل من تأذى. هل يمكن  
أن نعمل معاً؟"

أبو ياسر: "نعم".

د. سلمى: "لماذا؟"

أبو ياسر: "لأن العلاج يحتاج إلى التعليم. لأن الشفاء  
يحتاج إلى المعرفة. لأن الطفل الذي يتعلم، يُشفى. لأن  
الطفل الذي يكتب، يُشفى. لأن الطفل الذي يقرأ،  
يُشفى. لأن العلم هو الدواء. لأن المعرفة هي الشفاء. لأن  
التعليم هو الحياة".

---

\*\*\*\*\* في الليل

في الليل، جلس أبو ياسر مع د. سلمى.

كانا يتكلمان . كانا يحكيان . كانا يتذكران . كانا يضحكان  
أحياناً . كانا يبكيان أحياناً . لكنهما كانا معاً .  
د . سلمى : "أبو ياسر، كم طفلاً أنقذت حتى الآن؟"  
أبو ياسر : "مائة وخمسون" .

د . سلمى : "مائة وخمسون طفلاً؟"  
أبو ياسر : "نعم . مائة وخمسون طفلاً . مائة وخمسون حياة .  
مائة وخمسون ذاكرة . مائة وخمسون أمل . مائة وخمسون  
نصر" .

د . سلمى : "هل توقف؟"  
أبو ياسر : "لا . لا يتوقف . كل يوم طفل جديد . كل يوم  
حياة جديدة . كل يوم ذاكرة جديدة . كل يوم أمل  
جديد . كل يوم ألم جديد . كل يوم نصر جديد" .  
د . سلمى : "وماذا سنفعل بالمدرسة؟"

أبو ياسر : "سنحفظها . سنخبئها . سنبقئها . حتى يأتي يوم .  
يوم يعود فيه اليمن . يوم يُعرف فيه التاريخ . يوم يُحاسب  
فيه المجرم . في ذلك اليوم، سنخرج المدرسة . سنقول :  
'هذا ما علمنا . هذا ما أنقذنا . هذا ما حمينا . ونحن علمنا .  
ونحن أنقذنا . ونحن حمينا . ونحن لن ننسى' ."

د. سلمى: "أبو ياسر، هل ستستمر؟"

أبو ياسر: "نعم".

د. سلمى: "لماذا؟"

أبو ياسر: "لأنني مدير مدرسة. والمدير لا يتوقف. المدير يُعلم. المدير يحمي. المدير يُنقذ. حتى لو مات. حتى لو نُسي. يُعلم. لأن التعليم هو الحياة. والحياة هي النصر. والنصر هو الخلود".

---

\*\*\*\*\* في الصباح

في الصباح، عاد أبو ياسر إلى العمل.

كان سيستمر. كان سيعلم. كان سيحامي. كان سيقاوم.  
كان سيعيش.

في الطريق، رأى دورية حوثية. كانوا يمشون في الشارع. كانوا يحملون بنادق. كانوا ينظرون إلى الناس. كانوا يخيفون الناس. كانوا يقمعون الناس.

لم يتوقف أبو ياسر. لم يهرب. لم يخف. مشى. مشى في الشارع. مشى في الخطر. مشى في الموت. لكنه مشى بثبات. لأنه كان يعرف أن كل خطوة هي مقاومة. وكل درس هو سلاح. وكل نفس هو نصر.

في الطريق، مرّ بجانب مدرسة قديمة . كانت المدرسة  
مهجورة . كانت المدرسة محروقة . كانت المدرسة مهدومة .  
تذكر ما قالته أستاذة سعاد . تذكر ما قالته سحر . تذكر ما قاله  
الحاجب . تذكر كل الشهود . تذكر كل الذاكرة .  
ثم وصل إلى المدرسة . دخل . أغلق الباب . فتح الصف .  
جلس على الكرسي . انتظر الأطفال . انتظر عمار . انتظر  
بلال . انتظر مريم . انتظر زياد . انتظر كل من سيأتي .  
انتظر الحياة .

الفصل الرابع عشر  
المرأة التي كانت  
تكتب بأصابعها  
تعز، حي جبل حبشي  
٢٠٢٣ —

\*\*\*\*\* الدفتر

في حي جبل حبشي، في مدينة تعز، في بيت صغير،  
كانت تجلس امرأة.

كانت في الخامسة والثلاثين . كانت معلمة لغة عربية .  
كانت قد درّست في مدارس تعز لمدة عشر سنوات .  
كانت قد درّست أجيالاً من الطالبات . كانت قد علّمت  
القراءة . كانت قد علّمت الكتابة . كانت قد علّمت الحلم .  
كانت قد علّمت الحياة . ثم جاءت الحرب . ثم أغلقت  
المدارس . ثم توقف التعليم . ثم تغير كل شيء .

في البيت الصغير، كان هناك دفتر . كان الدفتر كبيراً .  
كان الدفتر سميكاً . كان الدفتر مليئاً بالأسماء . كانت نجاة  
قد بدأت تكتب في الدفتر منذ سنوات . كانت تكتب  
أسماء القتلى . كانت تكتب أسماء الجرحى . كانت تكتب  
أسماء المعتقلين . كانت تكتب أسماء المختفين . كانت  
تكتب أسماء النازحين . كانت تكتب أسماء كل من  
تأذى . كانت تكتب أسماء كل من تضرر . كانت تكتب  
أسماء كل من فقد . كانت تكتب أسماء كل من مات .

كانت نجاة تعرف أن هذا الدفتر خطير . كانت تعرف أن هذا الدفتر قد يُكَلِّفها حياتها . كانت تعرف أن هذا الدفتر قد يُودي بها إلى السجن . كانت تعرف أن هذا الدفتر قد يجعلها مختفية . لكنها كانت تكتب . لأنها كانت تعرف أن الكتابة هي السلاح الوحيد الذي تملكه . لأنها كانت تعرف أن الكتابة هي التي تُحفظ . لأنها كانت تعرف أن الكتابة هي التي تُوثق . لأنها كانت تعرف أن الكتابة هي التي تُقاوم . لأنها كانت تعرف أن الكتابة هي التي تُعيش .

\*\*\*\*\* الطالبة الأولى

في إحدى الليالي، طرق الباب .  
كان الطرق خافتاً . كان الطرق خائفاً . كان الطرق يائساً .  
فتحت نجاة الباب . كانت هناك طالبة . كانت في الخامسة عشرة . كان اسمها أمل . كانت ترتجف . كانت خائفة . كانت تبكي . كانت تقول :  
أمل : "أستاذة نجاة، أريد أن أتعلم".  
نجاة : "ماذا حدث؟"

أمل: "أخي. أخذوه. قالوا: سيتعلم القرآن! لكنهم لم يعلموه. علموه كيف يقتل. علموه كيف يموت. ثم مات. في الجبهة. لم نجد جثمانه. لم نعرف حتى أين دفنوه. أنا أريد أن أتعلم. أريد أن أكتب اسمه. أريد أن أحفظ قصته. أريد أن أخبر العالم. أريد أن لا يضيع".

نجاة: "صمتت. ثم قالت بصوت هادئ" "أمل، أنت الآن في بيتي. أنت الآن آمنة. أنا سأعلمك. أنا سأدربك. أنا سأساعدك على أن تكتبي اسم أخيك. أنا سأساعدك على أن تحفظي قصته. أنا سأساعدك على أن تخبري العالم. أنا سأساعدك على أن لا يضيع".

أمل: "هل ستساعديني؟"

نجاة: "نعم".

أمل: "لماذا؟"

نجاة: "لأنك طالبة. ولأنني معلمة. والمعلمة تعلم. والمعلمة تحمي. والمعلمة تحفظ. وأنت الآن طالبة. وأنا سأساعدك. حتى لو مت".

---

\*\*\*\*\* الطالبة الثانية

في إحدى الليالي، طرق الباب مرة أخرى.

كان الطرق خافتاً . كان الطرق خائفاً . كان الطرق يائساً .  
فتحت نجاة الباب . كانت هناك طالبة . كانت في السابعة  
عشرة . كان اسمها سلمى . كانت ترتجف . كانت خائفة .  
كانت تبكي . كانت تقول:  
سلمى : "أستاذة نجاة، أريد أن أتعلم".  
نجاة : "ماذا حدث؟"

سلمى : "أبي . أخذوه . من البيت . في الليل . لم يقولوا لماذا .  
لم يقولوا إلى أين . قالوا فقط : 'سيعود' . لكنه لم يعد . لم يعد  
منذ شهرين . أنا أنتظر منذ شهرين . أنا أسأل منذ شهرين .  
أنا أبحث منذ شهرين . لكنني لم أجد . لم أجد شيئاً . لا  
أعرف أين هو . لا أعرف إن كان حياً . لا أعرف إن  
كان ميتاً . لا أعرف شيئاً . أنا أريد أن أتعلم . أريد أن  
أكتب اسمه . أريد أن أحفظ قصته . أريد أن أخبر العالم .  
أريد أن لا يضيع".

نجاة : "صمتت . ثم قالت بصوت هادئ" "سلمى، أنتِ  
الآن في بيتي . أنتِ الآن آمنة . أنا سأعلمكِ . أنا سأدربكِ .  
أنا سأساعدكِ على أن تكتبي اسم أبيكِ . أنا سأساعدكِ

على أن تحفظي قصته .أنا سأساعدكِ على أن تُخبري  
العالم .أنا سأساعدكِ على أن لا يضيع".

سلمى : "هل ستساعديني؟"

نجاة : "نعم".

سلمى : "لماذا؟"

نجاة : "لأنكِ طالبة .ولأنني معلمة .والمعلمة تُعلم .والمعلمة  
تُحكي .والمعلمة تحفظ .وأنتِ الآن طالبتِ .وأنا  
سأساعدكِ .حتى لو مت".

---

\*\*\*\*\* الطالبة الثالثة

في إحدى الليالي، طرق الباب مرة أخرى.  
كان الطرق خافتاً . كان الطرق خائفاً . كان الطرق يائساً.  
فتحت نجاة الباب . كانت هناك طالبة . كانت في التاسعة  
عشرة . كان اسمها هناء . كانت ترتجف . كانت خائفة .  
كانت تبكي . كانت تقول:

هناء : "أستاذة نجاة، أريد أن أتعلم".

نجاة : "ماذا حدث؟"

هناء : "زوجي .أخذوه .من البيت .في الليل .لم يقولوا  
لماذا .لم يقولوا إلى أين .قالوا فقط : 'سيعود' .لكنه لم يعد .

لم يعد منذ ثلاثة أشهر. أنا أنتظر منذ ثلاثة أشهر. أنا أسأل  
منذ ثلاثة أشهر. أنا أبحث منذ ثلاثة أشهر. لكنني لم أجد .  
لم أجد شيئاً. لا أعرف أين هو. لا أعرف إن كان حياً .  
لا أعرف إن كان ميتاً. لا أعرف شيئاً. أنا أريد أن  
أتعلم. أريد أن أكتب اسمه. أريد أن أحفظ قصته. أريد  
أن أخبر العالم. أريد أن لا يضيع".

نجاة: "صمتت. ثم قالت بصوت هادئ" "هنا، أنت الآن  
في بيتي. أنت الآن آمنة. أنا سأعلمك. أنا سأدربك .  
أنا سأساعدك على أن تكتبي اسم زوجك. أنا سأساعدك  
على أن تحفظي قصته. أنا سأساعدك على أن تُخبري  
العالم. أنا سأساعدك على أن لا يضيع".

هنا: "هل ستساعديني؟"

نجاة: "نعم".

هنا: "لماذا؟"

نجاة: "لأنك طالبة. ولأنني معلمة. والمعلمة تُعلم. والمعلمة  
تُحمي. والمعلمة تحفظ. وأنت الآن طالبة. وأنا  
سأساعدك. حتى لو مت".

---

\*\*\*\*\* الدرس

في الصباح، جلست نجاة مع الطالبات.  
كانت الطالبات ثلاثاً. كانت أمل. كانت سلمى. كانت  
هنا. كن يجلسن على الأرض. كن يحملن دفاتر. كن  
يحملن أقلاماً. كن يحملن أملاً.

نجاة: "اليوم سنتعلم الكتابة. سنتعلم كيف نكتب قصة.  
سنتعلم كيف نكتب ذكرى. سنتعلم كيف نكتب  
شهادة. لأن الكتابة هي السلاح الوحيد الذي نملكه.  
الكتابة هي التي نحفظ. الكتابة هي التي تُوثق. الكتابة هي  
التي تُعرف. الكتابة هي التي تُقاوم. الكتابة هي التي  
تُعيش".

أمل: "أستاذة، ماذا نكتب؟"

نجاة: "اكتبن ما رأيتم. اكتبن ما سمعتم. اكتبن ما  
فقدتم. اكتبن ما تحبين. اكتبن ما تحلمن. اكتبن كل  
شيء. لأن كل شيء مهم. لأن كل شيء ذاكرة. لأن  
كل شيء حياة".

سلمى: "أستاذة، ماذا لو لم نعرف أن نكتب؟"

نجاة: "لا تخافي. سأعلّمك. سأعلّمك الحرف. سأعلّمك  
الكلمة. سأعلّمك الجملة. سأعلّمك القصة. سأعلّمك كل

شيء . سأعلِّك أن تكتبي . سأعلِّك أن تُكلمي . سأعلِّك  
أن تُقاومي . سأعلِّك أن تعيشي ."  
هنا : "أستاذة، ماذا لو خافوا منّا؟"

نِجاة : "سيخافون . لكنهم لا يستطيعون أن يمنعوكم . لأن  
العلم لا يُمنع . لأن المعرفة لا تُمنع . لأن الذاكرة لا تُمنع .  
لأن الحياة لا تُمنع . سيتعبون . سيتعبون من ملاحقتنا .  
سيتعبون من إغلاق المدارس . سيتعبون من منع  
الكتب . سيتعبون من قتل الأطفال . لكننا لن نتعب .  
لأن الحق معنا . لأن العلم معنا . لأن الحياة معنا .  
سننتصر . سننتصر لأن الحق ينتصر دائماً . حتى لو تأخر .  
حتى لو طال . سننتصر ."

\*\*\*\*\* الكّابة

في الليل ، جلست نِجاة أمام الدفتر .  
كانت تكتب . كانت تكتب أسماء القتلى . كانت تكتب  
أسماء الجرحى . كانت تكتب أسماء المعتقلين . كانت  
تكتب أسماء المختفين . كانت تكتب أسماء النازحين .  
كانت تكتب أسماء كل من تأذى . كانت تكتب أسماء

كل من تضرر . كانت تكتب أسماء كل من فقد . كانت  
تكتب أسماء كل من مات .  
كتبت اسم أخي أمل . كتبت اسم أبي سليمي . كتبت  
اسم زوج هناء . كتبت اسم كل من قيل لها عنهم .  
كتبت اسم كل من سمعت عنهم . كتبت اسم كل من  
رأيتهم . كتبت كل شيء .  
ثم أغلقت الدفتر . ثم نظرت إلى السماء . ثم قالت بصوت  
هادئ :

"يا الله ، أشهدك . أشهدك أنني كتبت . أشهدك أنني  
حفظت . أشهدك أنني لم أنس . أشهدك أنني سأستمر .  
حتى لو مت . حتى لو اختفيت . حتى لو نسيت . سأستمر .  
لأن هناك أسماء لم تُعرف . وهناك قصص لم تُحفظ .  
وهناك عدالة لم تُقم . سأستمر" . \*\*

\*\*\*\*\* الشك

في إحدى الليالي ، جلست نجاه مع نفسها .  
كانت تفكر . كانت تفكر في الدفتر . كانت تفكر في  
الأسماء . كانت تفكر في القصص . ثم سألت نفسها سؤالاً  
لم تسأله قبل :

"هل ما أكتبه صحيح؟"

"هل كل اسم كتبتّه هو اسم شخص مات فعلاً؟"

"هل كل قصة حفظتها هي قصة صحيحة؟"

"هل أنا أحفظ الذاكرة أم أشوها؟"

سكنت نجاة . لم تكن تعرف الجواب . كانت قد سمعت  
أسماء من الناس . كانت قد سمعت قصصاً من الناس .  
كانت قد كتبت ما سمعته . لكنها لم تكن متأكدة دائماً .  
أحياناً كانت تسمع اسماً من شخص ، ثم تسمع اسماً آخر  
من شخص آخر . أحياناً كانت تسمع قصة من شخص ، ثم  
تسمع قصة مختلفة من شخص آخر . أحياناً كانت تكتشف  
أن شخصاً كتبت اسمه لم يمت . أحياناً كانت تكتشف أن  
شخصاً كتبت اسمه مات لسبب آخر . أحياناً كانت  
تكتشف أن شخصاً كتبت اسمه لم يكن موجوداً أصلاً .

هذا أثقل نجاة . هذا جعلها تشك في نفسها . هذا جعلها  
تسأل : "هل أنا أستحق أن أحفظ الذاكرة؟ هل أنا  
أستحق أن أكتب الأسماء؟ هل أنا أستحق أن أشهد؟"

في تلك الليلة، لم تكتب نجاة. جلست فقط. نظرت إلى الدفتر. نظرت إلى الأسماء. نظرت إلى القصص. ثم قالت لنفسها:

"لا أعرف إن كان كل ما كتبته صحيحاً. لكنني أعرف أنني حاولت. أعرف أنني سألت. أعرف أنني دققت. أعرف أنني صححت. أنا لا أدعي أنني أعرف كل شيء. أنا لا أدعي أنني حفظت كل شيء. لكنني أعرف أنني كتبت ما استطعت. وأني سأستمر في الكتابة. وأني سأستمر في التدقيق. وأني سأستمر في التصحيح. لأن الذاكرة ليست كاملة أبداً. الذاكرة ناقصة دائماً. والاعتراف بالنقص جزء من الشهادة".\*\*

\*\*\*\*\* الزائرة

في إحدى الليالي، جاءت زائرة. كانت سحر. كانت الصحفية. كانت قد سمعت عن نجاة. كانت قد سمعت عن الدفتر. كانت قد سمعت عن الطالبات. كانت قد أرادت أن تتعاون. سحر: "نجاة، سمعت عنك". نجاة: "ماذا سمعت؟"

سحر: "سمعت أنك تكتبين أسماء الضحايا. سمعت أنك  
توثقين الجرائم. سمعت أنك تحفظين الذاكرة".

نجاة: "نعم".

سحر: "لماذا؟"

نجاة: "لأنني معلمة. والمعلمة تشهد. والمعلمة تكتب.  
والمعلمة تُخبر. والمعلمة لا تصمت. أنا شاهدة. والشاهدة  
يجب أن تتكلم. يجب أن تكتب. يجب أن تحفظ. يجب  
أن تُعرف".

سحر: "أنا أيضاً شاهدة. أنا أكتب. أنا أوثق. أنا أحفظ.  
هل يمكن أن نعمل معاً؟"

نجاة: "نعم".

سحر: "لماذا؟"

نجاة: "لأن الذاكرة تحتاج إلى أكثر من شخص. شخص  
واحد لا يستطيع أن يحفظ كل شيء. شخص واحد  
ينسى. لكن شخصين يتذكran. وثلاثة يحفظون. وأربعة  
يقون. نحن بحاجة إلى جماعة الذاكرة. جماعة تحفظ.  
جماعة تحكي. جماعة تكتب. جماعة لا تنسى".

سحر: "إذن، سنعمل معاً".

نجاة: "نعم. سنكتب. وسنحفظ. وسنبقى".  
لكن قبل أن تبدأ سحر العمل، قالت نجاة:  
نجاة: "سحر، أريد أن أخبرك شيئاً".  
سحر: "ماذا؟"

نجاة: "أنا لست متأكدة أن كل ما كتبتة صحيح. أنا  
أخطأت في بعض الأسماء. أنا أخطأت في بعض  
القصص. أنا لست كاملة".  
سحر: "صمت. ثم قالت "هذا جيد".  
نجاة: "لماذا؟"

سحر: "لأن الاعتراف بالخطأ جزء من الشهادة. من يقول  
إنه يعرف كل شيء، يكذب. من يقول إنه حفظ كل  
شيء، يخدع. لكن من يقول: 'أنا حاولت. أنا أخطأت.  
أنا سأصحح.' هذا هو الشاهد الحقيقي. هذا هو الذاكرة  
الحقيقية".

---

\*\*\*\*\* في الليل

في الليل، جلست نجاة مع سحر مع الطالبات.

كانوا يجلسون في البيت الصغير . كانوا يشربون الشاي .  
كانوا يتكلمون . كانوا يحكون . كانوا يتذكرون . كانوا  
يضحكون أحياناً . كانوا يكونون أحياناً . لكنهم كانوا معاً .  
سحر : "نجاة، كم اسماً كتبتِ حتى الآن؟"

نجاة : "أكثر من ثلاثة آلاف".

سحر : "ثلاثة آلاف اسم؟"

نجاة : "نعم . ثلاثة آلاف اسم . ثلاثة آلاف حياة . ثلاثة  
آلاف ذاكرة . ثلاثة آلاف شهادة . ثلاثة آلاف نصر".

سحر : "هل توقف؟"

نجاة : "لا . لا يتوقف . كل يوم اسم جديد . كل يوم قصة  
جديدة . كل يوم ذاكرة جديدة . كل يوم ألم جديد . كل  
يوم أمل جديد".

سحر : "وماذا سنفعل بالدقتر؟"

نجاة : "سنحفظه . سنخبئه . سنبقيه . حتى يأتي يوم . يوم  
يعود فيه الين . يوم يُعرف فيه التاريخ . يوم يُحاسب فيه  
المجرم . في ذلك اليوم، سنخرج الدقتر . سنقول : هذا ما  
حدث . هذا ما فعلتم . هذا من قتلتم . هذا من عذبتم . هذا

من أخفّيتُم .و نحن حفظناه .و نحن كتبناه .و نحن  
شهدنا .و نحن لن ننسى!"  
أمل : "أستاذة نجاة، هل ستستمرين؟"  
نجاة : "نعم".  
أمل : "لماذا؟"  
نجاة : "لأنني معلّمة .والمعلّمة لا تتوقف .المعلّمة تُعلّم .المعلّمة  
تحفظ .المعلّمة تُقاوم .حتى لو ماتت .حتى لو اختفت .  
حتى لو نُسيّت .تُعلّم .لأنّ التعليم هو الحياة .والحياة هي  
النصر .والنصر هو الخلود".

\*\*\*\*\* في الصباح

في الصباح، عادت نجاة إلى العمل.  
كانت ستستمر . كانت ستُعلّم . كانت ستكتب . كانت  
ستحفظ . كانت ستقاوم . كانت ستعيش.  
في الطريق، رأت دورية حوثية . كانوا يمشون في  
الشارع . كانوا يحملون بنادق . كانوا ينظرون إلى الناس .  
كانوا يخيفون الناس . كانوا يقمعون الناس.  
لم تتوقف نجاة . لم تهرب . لم تخف . مشت . مشت في  
الشارع . مشت في الخطر . مشت في الموت . لكنها مشت

بثبات .لأنها كانت تعرف أن كل خطوة هي مقاومة .  
وكل كلمة هي سلاح .وكل نفس هو نصر .  
في الطريق ، مرّت بجانب مدرسة قديمة . كانت المدرسة  
مهجورة . كانت المدرسة محروقة . كانت المدرسة مهدومة .  
تذكرت ما قالته أستاذة سعاد .تذكرت ما قالته سحر .  
تذكرت ما قاله الحاجب .تذكرت كل الشهود .تذكرت  
كل الذاكرة .

ثم وصلت إلى بيتها .دخلت .أغلقت الباب .فتحت  
الدقتر .جلست على الأرض .انتظرت الطالبات .  
انتظرت أمل .انتظرت سلمى .انتظرت هناء .انتظرت  
كل من سيأتي .انتظرت الحياة .

**الفصل الخامس عشر**  
**الأسماء التي لم تعرف**  
**بعد**  
**صنعاء، بيت قديم في**  
**حي شعوب — ٢٠٢٦**

\*\*\*\*\* الدفاتر

في بيت قديم في حي شعوب، في غرفة صغيرة، كان هناك رجل.

كان في الستين . كان نحيلاً . كان يرتدي ثوباً رمادياً .  
كان يحمل عينين متعبتين . كان يحمل ذاكرة ثقيلة . كان يجلس على الأرض . كان أمامه دفاتر.

كانت الدفاتر كثيرة . كان هناك دفتر كبير . كان هناك دفتر صغير . كان هناك دفتر مغلف بقماش أسود . كان هناك دفتر مغلف بقماش أحمر . كان هناك دفتر قديم . كان هناك دفتر جديد . كان هناك دفتر ممزق . كان هناك دفتر مبلى . كان هناك دفتر مرقع . كان هناك دفتر مكتوب بخط يد . كان هناك دفتر مكتوب بخط آخر.

كان الحاجب يجلس أمام الدفاتر . كان ينظر إليها . كان يفكر . كان يتذكر . كان يعرف أن كل دفتر هو حياة . حياة شخص عاش . شخص مات . شخص حفظ . شخص كتب . شخص شهد .

كان الحاجب قد جمع الدفاتر من كل مكان . كان قد جمع دفتر أم هاني . كان قد جمع دفتر نجاة . كان قد جمع

دفتر عمار . كان قد جمع دفتر سالم . كان قد جمع دفتر  
سحر . كان قد جمع دفتر ماجد . كان قد جمع دفتر مروان .  
كان قد جمع دفتر فارس . كان قد جمع دفتر د . سلمى .  
كان قد جمع دفتر أروى . كان قد جمع دفتر د . هدى .  
كان قد جمع دفتر أبي ياسر . كان قد جمع دفتر حسن .  
كان قد جمع دفتر كل من كتب . كل من حفظ . كل  
من شهد .

كان الحاجب يعرف أن هذه الدفاتر ليست مجرد  
أوراق . كانت هذه الدفاتر ذاكرة اليمين . كانت هذه  
الدفاتر شهادة الضحايا . كانت هذه الدفاتر صوت من لم  
يستطع أن يتكلم . كانت هذه الدفاتر حياة من مات .  
كانت هذه الدفاتر أمل من بقي .

جلس الحاجب . فتح الدفتر الأول . كان دفتر أم هاني .  
كان مكتوباً بخط يدها . كان مرتباً . كان مفصلاً . كان  
فيه أسماء دماج . كان فيه أسماء الذين ماتوا . كان فيه  
أسماء الذين نجوا . كان فيه كل شيء .

قرأ الحاجب . قرأ بصوت منخفض . قرأ بصوت  
مرتجف . قرأ وهو يتذكر . قرأ وهو يشهد .

"أم علياء .الخمسین .ماتت في القبو .دفنت في مقبرة  
جماعية .لم يُعرف قبرها".  
"أبو بكر .السبعین .مات في أول يوم من القصف .دُفن  
تحت الأنقاض .لم يُعرف قبره".  
"يوسف .ثلاث سنوات .مات في القبو .مات من  
الجفاف .دفن في مقبرة جماعية .لم يُعرف قبره".  
"فاطمة بنت علي .الخامسة والسبعین .ماتت في  
القصف .دفنت في مقبرة جماعية .لم يُعرف قبرها".  
كان الحاجب يقرأ .كان يقرأ كل اسم .كان يقرأ كل  
قصة .كان يقرأ كل حياة .ثم أغلق الدفتر .ثم فتح الدفتر  
الثاني .كان دفتر نجاة .كان أكبر .كان أثقل .كان مليئاً  
بالأسماء .كان مليئاً بالقصص .كان مليئاً بالحياة.  
"أخو أمل .الخامسة عشرة .جُنّد .مات في الجبهة .لم  
يُعرف قبره".  
"أبو سلمى .الخمسین .اعتقل .لم يُعرف مصيره .لم يُعرف  
مكانه .لم يُعرف إن كان حياً أم ميتاً".  
"زوج هناء .الثامنة والعشرين .اعتقل .لم يُعرف مصيره .  
لم يُعرف مكانه .لم يُعرف إن كان حياً أم ميتاً".

كان الحاجب يقرأ . كان يقرأ كل اسم . كان يقرأ كل قصة . كان يقرأ كل حياة . ثم أغلق الدفتر . ثم فتح الدفتر الثالث . كان دفتر عمّار . كان دفتر الجثث . كان مليئاً بالأرقام . كان مليئاً بالتواريخ . كان مليئاً بالمقابر الجماعية . " 50 جثماناً . مقبرة تعز القديمة . حي جبل حبشي . قصف 2022 . مجهولو الهوية . معظمهم مدنيون . " 40 جثماناً . مقبرة تعز القديمة . حي المسراخ . قصف . 2021 . مجهولو الهوية . بينهم أطفال ونساء . " 206 جثماناً . دماج . 2013-2014 . حصار وقصف . مجهولو الهوية . معظمهم دُفِنوا في مقابر جماعية . " كان الحاجب يقرأ . كان يقرأ كل رقم . كان يقرأ كل تاريخ . كان يقرأ كل جثة . ثم أغلق الدفتر . ثم فتح الدفتر الرابع . كان دفتر سالم . كان دفتر الزنانة . كان مليئاً بالأسماء . كان مليئاً بالأرقام . كان مليئاً بالحياة . " عبدالله . الخمسين . اعتقل قبل أربع سنوات . مرض . طلب الدواء . لم يحصل . مات في الزنانة . مات وحده . مات في الصمت . "

"مائتان وخمسة وسبعون رجلاً. ماتوا في الزلزلة رقم 3.  
حُفظت أسماءهم في الدفتر".

كان الحاجب يقرأ . كان يقرأ كل اسم . كان يقرأ كل  
قصة . كان يقرأ كل حياة . ثم أغلق الدفتر . ثم نظر إلى  
الدفاتر الباقية . كان هناك دفتر سحر . كان هناك دفتر  
ماجد . كان هناك دفتر مروان . كان هناك دفتر فارس .  
كان هناك دفتر د . سلمى . كان هناك دفتر أروى . كان  
هناك دفتر د . هدى . كان هناك دفتر أبي ياسر . كان  
هناك دفتر حسن . كان هناك دفتر كل من كتب . كل  
من حفظ . كل من شهد .

جلس الحاجب . نظر إلى الدفاتر . ثم قال لنفسه:  
"هذه ليست مجرد دفاتر . هذه ذاكرة اليمين . هذه شهادة  
الضحايا . هذه صوت من لم يستطع أن يتكلم . هذه حياة  
من مات . هذه أمل من بقي . وأنا حاملها . وأنا لن  
أضعها . حتى لو مت . حتى لو انتهيت . سأحملها .  
سأحفظها . سأكتبها . سأشهد . حتى النهاية" . \*\*

---

\*\*\*\* النقص

في إحدى الليالي، جلس الحاجب مع أم هاني.

كانت قد جاءت من بيتها . كانت تحمل دفترها . كانت تحمل قلمها . كانت تحمل ذاكرتها . جلست أمام الحاجب . قالت:

أم هاني : "الحاجب، لماذا أنت حزين؟"

الحاجب : "لست حزيناً".

أم هاني : "بلى . أنا أرى وجهك . أنا أرى عينيك . أنت حزين".

الحاجب : "صمت . ثم قال بصوت منخفض " أنا أفكر".

أم هاني : "في ماذا؟"

الحاجب : "في الدفاتر . في الأسماء . في القصص . في كل شيء . أنا أفكر أن الدفاتر ناقصة . أن الأسماء ناقصة . أن القصص ناقصة . أن كل شيء ناقص".

أم هاني : "ناقص؟"

الحاجب : "نعم . ناقص . نحن جمعنا آلاف الأسماء . لكن هناك آلاف آخرون لم نجمع أسماءهم . هناك آلاف آخرون لم نعرف قصصهم . هناك آلاف آخرون لم نسمع بهم . هناك آلاف آخرون لم نعرف حتى أنهم كانوا موجودين".

أم هاني: "صمتت. ثم قالت بصوت هادئ" "نعم. الدفاتر ناقصة. الأسماء ناقصة. القصص ناقصة. كل شيء ناقص. لكن هذا ليس عيباً. هذا حقيقة".

الحاجب: "حقيقة؟"

أم هاني: "نعم. الذاكرة ناقصة دائماً. لا أحد يستطيع أن يحفظ كل شيء. لا أحد يستطيع أن يعرف كل شيء. لا أحد يستطيع أن يشهد على كل شيء. نحن نحفظ ما نستطيع. نحن نعرف ما نستطيع. نحن نشهد على ما نستطيع. والباقي يبقى مجهولاً. والباقي يبقى مفقوداً. والباقي يبقى في علم الله".

الحاجب: "لكن هذا يُحزني".

أم هاني: "أعرف. يُحزني أيضاً. لكن هذا لا يعني أن نتوقف. هذا يعني أن نستمر. أن نحفظ ما نستطيع. أن نكتب ما نعرف. أن نشهد على ما رأينا. وأن نعترف بالنقص. الاعتراف بالنقص جزء من الشهادة".

الحاجب: "كيف؟"

أم هاني: "لأن من يقول إنه يعرف كل شيء، يكذب. من يقول إنه حفظ كل شيء، يخدع. لكن من يقول:

'أنا حفظت ما استطعت. أنا أعرف ما استطعت. أنا شهدت على ما استطعت. والباقي مجهول. والباقي مفقود. والباقي في علم الله! هذا هو الشاهد الحقيقي. هذا هو الذاكرة الحقيقية'.

الحاجب: "صمت. ثم قال بصوت منخفض" "إذن، ماذا سنفعل؟"

أم هاني: "سنكتب أننا لا نعرف. سنكتب أننا بحثنا. سنكتب أننا حاولنا. سنكتب أننا لم نستسلم. هذا أيضاً شهادة".

الحاجب: "شهادة؟"

أم هاني: "نعم. شهادة على أننا حاولنا. شهادة على أننا بحثنا. شهادة على أننا لم نستسلم. شهادة على أن الذاكرة ناقصة. لكنها موجودة. وأنها تقاوم. وأنها تبقى".

الحاجب: "صمت. ثم فتح دفترًا جديدًا. ثم أخذ القلم. ثم كتب على الصفحة الأولى":

"أسماء لم تُعرف بعد".\*\*

ثم أغلقه. ثم نظر إلى أم هاني. قال:

الحاجب: "شكرًا".

أم هاني: "على ماذا؟"  
الحاجب: "على أنك جعلتني أعترف .على أنك جعلتني  
أكتب .على أنك جعلتني أستمّر".  
أم هاني: "لا تشكرني .افعل شيئاً واحداً".  
الحاجب: "ماذا؟"

أم هاني: "استمر .استمر في الكتابة .استمر في الحفظ .استمر  
في الشهادة .حتى لو لم تعرف كل شيء .حتى لو لم تحفظ  
كل شيء .حتى لو لم تشهد على كل شيء .استمر .لأن  
الاستمرار نفسه انتصار .ولأن التوقف يعني أن نعترف  
أنهم فازوا .وأنا لن أعترف".

\*\*\*\*\* الزائر

في إحدى الليالي، جاء زائر.  
كان شاباً . كان في الثلاثين . كان اسمه سامر . كان ابن  
الحاجب . كان قد كبر . كان قد أصبح رجلاً . كان قد  
أصبح رساماً . كان قد أصبح حافظاً.  
جلس سامر أمام أبيه . كان يحمل دفترًا . كان يحمل قلباً .  
كان يحمل ذاكرة . قال:  
سامر: "أبي، لماذا أنت حزين؟"

الحاجب: "لست حزيناً".

سامر: "بلى. أنا أرى وجهك. أنا أرى عينيك. أنت حزين".

الحاجب: "صمت. ثم قال بصوت منخفض" "أنا أفكر".  
سامر: "في ماذا؟"

الحاجب: "في الدفاتر. في الأسماء. في القصص. في كل شيء. أنا أفكر أن الدفاتر ناقصة. أن الأسماء ناقصة. أن القصص ناقصة. أن كل شيء ناقص".  
سامر: "ناقص؟"

الحاجب: "نعم. ناقص. نحن جمعنا آلاف الأسماء. لكن هناك آلاف آخرون لم نجمع أسماءهم. هناك آلاف آخرون لم نعرف قصصهم. هناك آلاف آخرون لم نسمع بهم".

سامر: "صمت. ثم فتح دفتره. ثم قال" "أبي، أنا أيضاً أكتب".

الحاجب: "ماذا تكتب؟"

سامر: "أكتب ما أرسمه. أكتب ما أراه. أكتب ما أتذكره. أكتب دماج. أكتب البيت. أكتب الجبل".

أكتب الشمس. أكتب الناس. أكتب كل شيء. حتى لا أنسى".

الحاجب: "وهل دفترك ناقص؟"

سامر: "نعم. ناقص. أنا لا أتذكر كل شيء. أنا لا أعرف كل شيء. لكنني أكتب ما أتذكره. أرسم ما أتذكره. أحفظ ما أتذكره. والباقي يبقى مفقوداً".

الحاجب: "وهل هذا يُحزنك؟"

سامر: "أحياناً. لكنني أعرف أن الذاكرة ناقصة دائماً. أعرف أن لا أحد يستطيع أن يحفظ كل شيء. أعرف أن ما أفعله هو كل ما أستطيع. وهذا يكفي".

الحاجب: "نظر إلى سامر. في عينيه دموع. دموع فرح. دموع أمل. قال بصوت مرتجف: "سامر، أنت تعلمت مني".

سامر: "تعلمت منك أن الذاكرة ناقصة. وتعلمت منك أن النقص ليس عيباً. وتعلمت منك أن الاعتراف بالنقص جزء من الشهادة. وتعلمت منك أن نستمر. رغم كل شيء".

الحاجب: "سامر، أنت أفضل مني".

سامر: "لا. أنا مثلك. لكنني تعلمت منك. وأنت تعلمت من أم هاني. وأم هاني تعلمت من دماج. ودماج علمتنا كلنا. أن الذاكرة لا تموت. وأن الشهادة لا تموت. وأن اليمين لا يموت".

\*\*\*\*\* في الليل

في الليل، جلس الحاجب وحده. كان الدفتر الجديد أمامه. كان الدفتر فارغاً. كانت الصفحة الأولى مكتوبة. كان مكتوباً: "أسماء لم تُعرف بعد".\*\*

جلس الحاجب يفكر. كان يفكر في كل من مات. كان يفكر في كل من نجا. كان يفكر في كل من حفظ. كان يفكر في كل من شهد. كان يفكر في كل من كتب. كان يفكر في كل من قاوم. كان يفكر في كل من عاش. جاءته فكرة. فتح الدفتر. أخذ القلم. ثم بدأ يكتب. كتب: "هذا دفتر الأسماء التي لم تُعرف بعد. هذا دفتر الذين لم نجد أسماءهم. هذا دفتر الذين لم نعرف قصصهم. هذا دفتر الذين لم نسمع بهم. هذا دفتر الذين ماتوا ولم يعرف

أحد .هذا دقتر الذين اختفوا ولم يعرف أحد .هذا دقتر  
الذين ضاعوا ولم يعرف أحد".

ثم توقف .ثم نظر إلى الصفحة .ثم قال لنفسه:  
"لكن كيف أكتب أسماء لا أعرفها؟ كيف أحفظ  
قصصًا لم أسمعها؟ كيف أشهد على ما لم أره؟"  
ثم صمت .ثم فكر .ثم قال لنفسه:

"أنا لا أستطيع أن أكتب أسماء لا أعرفها .لكنني  
أستطيع أن أكتب أنني لا أعرفها .أنا لا أستطيع أن  
أحفظ قصصًا لم أسمعها .لكنني أستطيع أن أكتب أنني  
لم أسمعها .أنا لا أستطيع أن أشهد على ما لم أره .لكنني  
أستطيع أن أكتب أنني لم أره .وهذا أيضًا شهادة .شهادة  
على النقص .شهادة على الجهل .شهادة على العجز .لكنها  
شهادة .وهي أصدق من أن أدعي أنني أعرف كل  
شيء".\*\*

ثم بدأ يكتب .كتب:

"لم أعرف اسم هذا الشخص .لم أعرف من هو .لم  
أعرف أين مات .لم أعرف كيف مات .لم أعرف متى  
مات .لكنني أعرف أنه مات .أعرف أنه كان هناك .

أعرف أنه كان إنساناً. أعرف أنه كان له اسم. أعرف أنه كان له عائلة. أعرف أنه كان له حلم. أعرف أنه كان له حياة. لكنني لا أعرف اسمه. لا أعرف عائلته. لا أعرف حلمه. لا أعرف حياته. وهذا يُحزني. وهذا يجعلني أكتب. حتى لو لم أعرف اسمه. أكتب أنه كان هناك. أكتب أنه كان إنساناً. أكتب أنه كان له حياة. وهذا أقل ما أستطيع".

ثم أغلق الدفتر. ثم نظر إلى السماء. ثم قال بصوت هادئ:

"يا الله، أشهدك. أشهدك أنني حفظت ما استطعت. أشهدك أنني كتبت ما عرفت. أشهدك أنني شهدت على ما رأيت. أشهدك أنني لم أنس. أشهدك أنني سأستمر. حتى لو مت. حتى لو اختفيت. حتى لو نسيت. سأستمر. لأن هناك أسماء لم تُعرف بعد. وهناك قصص لم تُحفظ. وهناك عدالة لم تُقم. سأستمر".\*\*

---

\*\*\*\*\* في الصباح

في الصباح، خرج الحاجب من بيته.

كان سيذهب إلى أم هاني . كان سيذهب إلى نجاة . كان  
سيذهب إلى سحر . كان سيذهب إلى كل من كتب .  
كل من حفظ . كل من شهد . كان سيجمع الدفاتر .  
كان سيجمع الأسماء . كان سيجمع القصص . كان  
سيجمع الذاكرة .

في الطريق، رأى دورية حوثية . كانوا يمشون في  
الشارع . كانوا يحملون بنادق . كانوا ينظرون إلى الناس .  
كانوا يخيفون الناس . كانوا يقمعون الناس .

لم يتوقف الحاجب . لم يهرب . لم يخف . مشى . مشى في  
الشارع . مشى في الخطر . مشى في الموت . لكنه مشى  
بثبات . لأنه كان يعرف أن كل خطوة هي مقاومة .  
وكل كلمة هي سلاح . وكل نفس هو نصر .

في الطريق، مرّ بجانب بيت قديم . كان البيت مهجوراً .  
كان البيت محروقاً . كان البيت مهدوماً . تذكر ما قاله  
ماجد . تذكر ما قاله عمّار . تذكر ما قالت أم هاني . تذكر كل  
الشهود . تذكر كل الذاكرة .

ثم وصل إلى بيت أم هاني . دخل . أغلق الباب . جلس  
على الأرض . فتح الدفاتر . بدأ يقرأ . بدأ يكتب . بدأ  
يحفظ . بدأ يشهد .

كانت أم هاني بجانبه . كانت تكتب مع الدقتر الخاص  
بها . كان الحاجب يكتب مع الدقتر الخاص به . كانا  
يكتبان معاً . كانا يحفظان معاً . كانا يشهدان معاً .

في الغرفة ، كان هناك دفاتر كثيرة . كان هناك أسماء  
كثيرة . كان هناك قصص كثيرة . كان هناك ذاكرة  
كثيرة . لكن الذاكرة لم تكن كاملة . كانت ناقصة . وكان  
الحاجب يعرف أنها ناقصة . وكان يقبل النقص . وكان  
يكتب النقص . لأن النقص أيضاً شهادة . لأن النقص  
أيضاً ذاكرة . لأن النقص أيضاً حياة .

"أسماء لم تُعرف بعد . لكننا حاولنا . كتبنا . بحثنا . حفظنا .  
شهدنا . لم نستسلم . هذا كل ما نستطيع . وهذا كل ما  
نملك . وهذا كل ما نقدمه . لأن الذاكرة ناقصة . لكنها  
موجودة . وأنها تُقاوم . وأنها تبقى ."

**الفصل السادس عشر**  
**الشهادة لا تموت**  
**دماج، محافظة صعدة**  
**٢٠٢٦ —**

\*\*\*\*\* العودة

في صباح يوم من أيام الخريف، وصلت سيارة إلى أطراف دماج.

لم تكن سيارة كبيرة . كانت سيارة صغيرة . كانت قديمة . كانت متعبة . كان فيها ثلاثة . كان الحاجب . كان سامر . كان أبو المجد .

وقف الحاجب أمام المدخل . كان قد مر ثلاثة عشر عاماً منذ أن خرج من دماج . كان قد مر ثلاثة عشر عاماً منذ أن ترك بيتته . كان قد مر ثلاثة عشر عاماً منذ أن ترك قبور آبائه . كان قد مر ثلاثة عشر عاماً منذ أن ترك كل شيء .

نظر الحاجب إلى دماج . لم يكن هناك دماج . كان هناك خراب . كان هناك أنقاض . كان هناك حجارة . كان هناك رماد . كان هناك صمت . كان هناك موت .

الحاجب : "هنا كان بيتنا" .

سامر : "أين ؟"

الحاجب : "أشار إلى كومة من الحجارة . قال بصوت منخفض " هناك . هناك كان البيت . هناك كانت

الغرفة .هناك كان السرير .هناك كانت النافذة .هناك  
كان كل شيء".

سامر: "هل بقي شيء؟"

الحاجب: "لا .لم يبق شيء .إلا الذاكرة".

أبو المجد: "الحاجب، لماذا عدت؟"

الحاجب: "لأنني وعدت".

أبو المجد: "وعدت من؟"

الحاجب: "وعدت نفسي .وعدت أم علياء .وعدت أبو

بكر .وعدت يوسف .وعدت كل من مات .وعدت كل

من بقي .وعدت دماج .قلت إنني سأعود .وقد عدت".

سامر: "وماذا بعد؟"

الحاجب: "بعد ماذا؟"

سامر: "بعد أن عدت؟"

الحاجب: "نظر إلى الخراب .كان في عينيه دموع .دموع

كثيرة .دموع مكتومة .دموع من ثلاثة عشر عاماً .قال

بصوت مرتجف "بعد أن عدت، سأفعل ما وعدت".

سامر: "ماذا وعدت؟"

الحاجب : "وعدت أن أحفظ . وعدت أن أكتب .  
وعدت أن أشهد . وعدت أن لا أنسى . وعدت أن أحمل  
الذاكرة . وعدت أن أخبر العالم . وعدت أن أقاوم".

\*\*\*\*\* الأنقاض

مشى الحاجب في الأنقاض . مشى ببطء . مشى بحذر .  
مشى وهو يتذكر . مشى وهو يبكي . مشى وهو يشهد .  
"هنا كان المعهد . هنا كان دار الحديث . هنا كنت  
أحرس . هنا كنت أرى الأطفال يتعلمون . هنا كنت  
أرى الناس يصلون . هنا كنت أرى الحياة".  
ثم وقف أمام كومة من الحجارة . كانت الكومة كبيرة .  
كانت الحجارة سوداء . كان هناك رائحة موت . قال  
بصوت منخفض:

"هنا كان المسجد . هنا كان المحراب . هنا كان المنبر . هنا  
كان الناس يصلون . هنا كان الأطفال يلعبون . هنا كانت  
الحياة".

ثم وقف أمام حفرة . كانت الحفرة كبيرة . كانت الحفرة  
عميقة . كان فيها عظام . كان فيها تراب . كان فيها  
ذاكرة . قال بصوت مرتجف:

"هنا دُفِنوا. هنا دُفِنَت أم علياء. هنا دُفِن أبو بكر. هنا دُفِن يوسف. هنا دُفِن مِثَات. هنا دُفِنَت دِماج".  
جلس الحاجب على الأرض. كان يبكي. كان ينوح.  
كان يشهد. ثم قال:

"يا الله، أشهدك. أشهدك أنني عدت. أشهدك أنني لم أنس. أشهدك أنني حملت الذاكرة ثلاثة عشر عاماً.  
أشهدك أنني كتبت الأسماء. أشهدك أنني حفظت القصص. أشهدك أنني لم أستسلم. أشهدك أنني سأستمر".\*\*

#### \*\*\*\*\* الأسماء

فتح الحاجب الدفتر. كان الدفتر كبيراً. كان الدفتر ثقيلاً. كان الدفتر مليئاً بالأسماء. كان مليئاً بالحياة.  
قرأ الحاجب. قرأ بصوت منخفض. قرأ بصوت مرتجف. قرأ وهو يبكي. قرأ وهو يتذكر. قرأ وهو يشهد.  
"أم علياء. الخمسين. ماتت في القبو".  
"أبو بكر. السبعين. مات في أول يوم من القصف".  
"يوسف. ثلاث سنوات. مات من الجفاف".

"فاطمة بنت علي .الخامسة والسبعين .ماتت في القصف".

"عبدالله .الخمسين .مات في الزلزلة".

"محمد .العشرين .اختفى .لم يُعرف مصيره".

"سالم .الخمسين .اعتقل .لم يُعرف مصيره".

كان الحاجب يقرأ .كان يقرأ كل اسم .كان يقرأ كل قصة .كان يقرأ كل حياة .ثم أغلق الدفتر .ثم نظر إلى السماء .ثم قال بصوت هادئ:

"هذه ليست مجرد أسماء .هذه حياة .هذه قصص .هذه ذاكرة .هذه شهادة .وأنا حاملها .وأنا لن أضعها .حتى لو مت .حتى لو انتهيت .سأحملها .سأحفظها .سأكتبها .سأشهد .حتى النهاية".\*\*

\*\*\*\*\* في الليل

في الليل ، جلس الحاجب مع سامر مع أبي المجد . كانوا يجلسون في العراء . كانوا يشربون الشاي . كانوا يتكلمون . كانوا يحكون . كانوا يتذكرون . كانوا يضحكون أحياناً . كانوا سيكون أحياناً . لكنهم كانوا معاً . سامر : "أبي ، لماذا عدت؟"

الحاجب: "لماذا أعدت؟"

سامر: "نعم. لماذا عدت؟ كان يمكن أن تبقى في صنعاء. كان يمكن أن تبقى بعيداً عن كل هذا. لماذا عدت؟"

الحاجب: "لأنني وعدت".

سامر: "وعدت من؟"

الحاجب: "وعدت نفسي. وعدت أم علياء. وعدت أبو بكر. وعدت يوسف. وعدت كل من مات. وعدت كل من بقي. وعدت دماج. قلت إنني سأعود. وقد عدت".

سامر: "وماذا بعد؟"

الحاجب: "بعد ماذا؟"

سامر: "بعد أن عدت؟"

الحاجب: "بعد أن عدت، سأفعل ما وعدت".

سامر: "ماذا وعدت؟"

الحاجب: "وعدت أن أحفظ. وعدت أن أكتب. وعدت أن أشهد. وعدت أن لا أنسى. وعدت أن أحمل الذاكرة. وعدت أن أخبر العالم. وعدت أن أقاوم".

أبو المجد: "الحاجب، أنت تعرف أن العالم لا يسمع".

الحاجب: "أعرف".

أبو المجد: "أنت تعرف أن العالم لا يهتم".

الحاجب: "أعرف".

أبو المجد: "أنت تعرف أن العالم مشغول".

الحاجب: "أعرف".

أبو المجد: "ومع ذلك تريد أن تُخبره؟"

الحاجب: "نعم".

أبو المجد: "لماذا؟"

الحاجب: "لأن العالم قد لا يسمع الآن. لكن العالم  
سيسمع يوماً. قد يسمع بعد سنة. قد يسمع بعد عشر  
سنوات. قد يسمع بعد مئة سنة. لكن العالم سيسمع.  
لأن الحقيقة لا تختفي. لأن الحقيقة لا تموت. لأن  
الحقيقة تبقى. وأنا أكتب من أجل ذلك اليوم. يوم  
يسمع العالم".

---

\*\*\*\*\* الشهادة

في الصباح، وقف الحاجب أمام الأنقاض.  
كان الدفتر في يده. كان القلم في يده. كان الذاكرة في  
قلبه. قال:

"أنا سالم الحاجب .أنا من دماج .أنا شاهد .أنا شهدت  
ما حدث .أنا رأيت القصف .أنا رأيت الحصار .أنا رأيت  
الموت .أنا رأيت النزوح .أنا رأيت كل شيء .وأنا أشهد .  
أشهد أن دماج كانت هنا .أشهد أن الناس عاشوا هنا .  
أشهد أن الناس ماتوا هنا .أشهد أن الحياة كانت هنا .  
أشهد أن الحياة انتهت هنا .أشهد أن الذاكرة تبقى  
هنا".\*\*

ثم جلس على الأرض .ثم فتح الدفتر .ثم بدأ يكتب .  
كتب:

"هذا دفتر دماج .هذا دفتر الأسماء .هذا دفتر الذاكرة .  
هذا دفتر الشهادة .هذا دفتر الحياة".\*\*  
ثم كتب اسماً .ثم اسماً .ثم اسماً .ثم كتب كل الأسماء .  
ثم أغلق الدفتر .ثم نظر إلى السماء .ثم قال بصوت  
هادئ:

"الشهادة لا تموت .الشهادة تبقى .الشهادة تُروى .  
الشهادة تُحفظ .الشهادة تُكتب .الشهادة تُقرأ .الشهادة  
تُعرف .الشهادة تُشهد .الشهادة لا تموت".\*\*

---

\*\*\*\*\* العودة إلى صنعاء

في اليوم التالي، عاد الحاجب إلى صنعاء.  
كان قد أخذ من دماج ما يستطيع . كان قد أخذ حجراً  
صغيراً . كان قد أخذ قبضة تراب . كان قد أخذ صورة .  
كان قد أخذ ذكرى . لكنه كان قد أخذ الأهم . كان قد  
أخذ الدفتر . كان قد أخذ الذاكرة . كان قد أخذ الشهادة .  
في السيارة، كان الحاجب يجلس في الخلف . كان ينظر  
إلى دماج وهي تبتعد . كان ينظر إلى الانقراض وهي  
تختفي . كان ينظر إلى الذاكرة وهي تبقى . قال لنفسه:  
"سأعود . سأعود دائماً . سأعود حتى لو لم يتبقَ شيء .  
سأعود حتى لو لم يبقَ أحد . سأعود حتى لو مت .  
سأعود . لأن دماج ليست مكاناً . دماج ذاكرة . دماج  
شهادة . دماج حياة . ودماج لا تموت" .\*\*

\*\*\*\*\* في صنعاء

في صنعاء، عاد الحاجب إلى بيته القديم.  
كان البيت صغيراً . كان البيت قديماً . كان البيت مليئاً  
بالدفاتر . كان البيت مليئاً بالذاكرة .  
جلس الحاجب على الأرض . فتح الدفتر الجديد . كان  
الدفتر الذي كتب عليه:

"أسماء لم تُعرف بعد".\*\*

ثم فتح دفتر أم هاني .ثم دفتر نجاة .ثم دفتر عمار .ثم دفتر سالم .ثم دفتر سحر .ثم دفتر ماجد .ثم دفتر مروان .ثم دفتر فارس .ثم دفتر د .سلي .ثم دفتر أروى .ثم دفتر د .هدى .ثم دفتر أبي ياسر .ثم دفتر حسن .ثم دفتر كل من كتب .كل من حفظ .كل من شهد.

كانت الدفاتر كثيرة .كانت الدفاتر ثقيلة .كانت الدفاتر مليئة بالأسماء .كانت الدفاتر مليئة بالقصص .كانت الدفاتر مليئة بالحياة.

نظر الحاجب إلى الدفاتر .ثم قال لنفسه:

"هذه ليست مجرد دفاتر .هذه ذاكرة اليمين .هذه شهادة الضحايا .هذه صوت من لم يستطع أن يتكلم .هذه حياة من مات .هذه أمل من بقي .وأنا حاملها .وأنا لن أضعها .حتى لو مت .حتى لو انتهيت .سأحملها .سأحفظها .سأكتبها .سأشهد .حتى النهاية".\*\*

الفصل السابع عشر  
إلى الضحايا الذين لم  
يجدوا العدالة  
رسالة مفتوحة —  
صنعاء، ٢٠٢٦

## \*\*\*\*\* الرسالة

هذه ليست رواية. هذه ليست قصة. هذه رسالة.  
رسالة من رجل في الستين. رسالة من رجل من دماج.  
رسالة من رجل اسمه سالم. سالم بن علي الحاجب. رسالة  
من رجل يحمل دفتراً. يحمل ذاكرة. يحمل شهادة. يحمل  
أثقل مما يستطيع أي إنسان أن يحمل.  
هذه الرسالة ليست إلى الأحياء. هذه الرسالة إلى  
الضحايا الذين لم يجدوا العدالة. إلى الذين ماتوا ولم  
يُحاسب أحد. إلى الذين اختفوا ولم يُعرف مصيرهم. إلى  
الذين عذبوا ولم يُنصف أحد. إلى الذين نزحوا ولم  
يعودوا. إلى الذين بقوا ولم يُسأل أحد.  
هذه الرسالة إلى كل من دفع الثمن. إلى كل من حمل  
الألم. إلى كل من لم يجد أحداً يسمعه. إلى كل من لم  
يجد أحداً يشهد له. إلى كل من لم يجد أحداً ينصفه.  
هذه الرسالة إليكم.

## \*\*\*\*\* أعترف

أعترف أنني لم أفعل ما يكفي.  
أعترف أنني لم أنجز ما وعدت.

أعترف أنني لم أحفظ كل الأسماء.  
أعترف أنني لم أعرف كل القصص.  
أعترف أنني لم أشهد على كل شيء.  
أعترف أنني كتبت، لكنني لم أكتب كل شيء.  
أعترف أنني حفظت، لكنني لم أحفظ كل شيء.  
أعترف أنني شهدت، لكنني لم أشهد على كل شيء.  
أعترف أنني حملت الذاكرة ثلاثة عشر عاماً، لكنني لم أحملها كما يجب.  
أعترف أنني فشلت في أشياء كثيرة.  
أعترف أنني لم أستطع أن أفعل ما يجب أن يفعل.  
أعترف لكم.

---

\*\*\*\*\* لكن

لكنني حاولت.  
حاولت أن أحفظ. حاولت أن أكتب. حاولت أن  
أشهد. حاولت أن أقاوم. حاولت أن أعيش. حاولت أن  
أعيش.  
لكنني لم أستطع أن أعيد من مات.  
لم أستطع أن أعيد أم علياء.

لم أستطع أن أعيد أبو بكر.  
لم أستطع أن أعيد يوسف.  
لم أستطع أن أعيد عبد الله.  
لم أستطع أن أعيد كل من مات.  
لم أستطع أن أعيد كل من اختفى.  
لم أستطع أن أعيد كل من ضاع.  
لم أستطع أن أعيد كل من نزع.  
لم أستطع أن أعيد كل من تأذى.  
لم أستطع أن أعيد أي أحد.  
لكنني حفظت . كتبت . شهدت . قاومت . عشت .  
وحفظت لأجلكم . كتبت لأجلكم . شهدت لأجلكم .  
قاومت لأجلكم . عشت لأجلكم .  
وأنا أعترف أنني لم أفعل ما يكفي . لكنني لم أتوقف . لم  
أستسلم . لم أنس . لم أتخلَّ .  
وهذا كل ما أستطيع . وهذا كل ما أملك . وهذا كل ما  
أقدمه .

---

\*\*\*\*\* إليكم  
إلى أم علياء:

أنتِ ماتت في القبر. ماتت وحيدة. ماتت في الصمت .  
لكنني حفظت اسمك . كتبت قصتك . شهدت لموتك .  
أنتِ لن تضيعي .

إلى أبو بكر:

أنتِ ماتت في أول يوم من القصف . ماتت تحت  
الأنقاض . لم نعرف حتى أين قبرك . لكنني حفظت  
اسمك . كتبت قصتك . شهدت لموتك . أنتِ لن تضيع .

إلى يوسف:

أنتِ ماتت من الجفاف . كنت في الثالثة . كنت طفلاً .  
لم تفهم ما يحدث . لم تفهم لماذا تموت . لكنني حفظت  
اسمك . كتبت قصتك . شهدت لموتك . أنتِ لن تضيع .

إلى عبدالله:

أنتِ ماتت في الزنانة . طلبت الدواء . لم تحصل . ماتت  
وحيداً . ماتت في الصمت . لكنني حفظت اسمك .  
كتبت قصتك . شهدت لموتك . أنتِ لن تضيع .

إلى كل من مات:

لم أعرف أسماءكم كلها . لم أعرف قصصكم كلها . لم  
أعرف حتى أنكم كنتم موجودين . لكنني أعرف أنكم

كنتم هنا. أعرف أنكم عشت. أعرف أنكم مُت. أعرف أنكم لن تُنسوا. حفظت ما استطعت. كتبت ما عرفت. شهدت على ما رأيته. والباقي في علم الله.

إلى كل من اختفى:

لم أعرف أين أنتم. لم أعرف إن كنتم أحياء. لم أعرف إن كنتم أمواتاً. لكنني حفظت أسماءكم. كتبت قصصكم. شهدت على غيابكم. أنتم لن تضيعوا.

إلى كل من عذب:

لم أستطع أن أوقف التعذيب. لم أستطع أن أنقذكم. لم أستطع أن أخفف ألمكم. لكنني حفظت شهادتكم. كتبت قصصكم. شهدت على جروحكم. أنتم لن تضيعوا.

إلى كل من نزع:

لم أستطع أن أعيدكم إلى بيوتكم. لم أستطع أن أعيد أرضكم. لم أستطع أن أعيد حياتكم. لكنني حفظت أسماءكم. كتبت قصصكم. شهدت على نزوحكم. أنتم لن تضيعوا.

إلى كل من بقي:

لم أستطع أن أغَيِّر شيئاً. لم أستطع أن أوقف الحرب. لم أستطع أن أحقق العدالة. لكنني حفظت أسماءكم. كتبت قصصكم. شهدت على صمودكم. أنتم لن تضيعوا.

\*\*\*\*\* لماذا؟

لماذا أكتب هذه الرسالة؟

لماذا أكتب إلى من مات؟

لماذا أكتب إلى من اختفى؟

لماذا أكتب إلى من لم يجد العدالة؟

أكتب لأنني لا أعرف ماذا أفعل آخر.

أكتب لأنني لا أستطيع أن أعيدكم.

أكتب لأنني لا أستطيع أن أحقق العدالة لكم.

أكتب لأنني لا أستطيع أن أعاقب من قتلكم.

أكتب لأنني لا أستطيع أن أعيد ما سلب منكم.

لكنني أستطيع أن أحفظ. أستطيع أن أكتب. أستطيع

أن أشهد. أستطيع أن أخبر العالم. أستطيع أن أقاوم.

أستطيع أن أعيش.

وهذا ما أفعله. وهذا كل ما أستطيع. وهذا كل ما

أملك. وهذا كل ما أقدمه.

أقدمه لكم .أقدمه لأجلكم .أقدمه باسمكم.

---

\*\*\*\*\* الألم

الألم لا يزول.

الألم يبقى.

الألم يُخزّن في القلب .يُخزّن في الذاكرة .يُخزّن في الروح .  
يُخزّن في كل شيء.

أنا أحمل الألم منذ ثلاثة عشر عاماً .حملته في دماغ .حملته  
في الطريق .حملته في صنعاء .حملته في كل مكان .حملته  
في كل ليلة .حملته في كل صباح .حملته في كل نفس .  
الألم لا يزول .لكن الألم لا يمنعني من الكتابة .لا يمنعني  
من الحفظ .لا يمنعني من الشهادة .لا يمنعني من  
المقاومة .لا يمنعني من الحياة.

الألم جزء مني .لكنه ليس كل شيء .أنا أكثر من الألم .  
أنا ذاكرة .أنا شهادة .أنا حياة .أنا مقاومة .أنا أمل .أنا  
كل شيء.

وأنتم أيضاً كنتم أكثر من الألم .كنتم حياة .كنتم حلماً .  
كنتم أملاً .كنتم مقاومة .كنتم كل شيء.

وأنا أحمل ذلك عنكم .أحمل حياتكم .أحمل أحلامكم .  
أحمل أملككم .أحمل مقاومتكم .أحمل كل شيء .  
وأنا لن أضعها .حتى لو مت .حتى لو انتهيت .سأحملها .  
سأحفظها .سأكتبها .سأشهد .حتى النهاية .

\*\*\*\*\* الأمل

الأمل لا يزول أيضاً .

الأمل يبقى .

الأمل يُخزّن في القلب .يُخزّن في الذاكرة .يُخزّن في  
الروح .يُخزّن في كل شيء .

أنا أحمل الأمل منذ ثلاثة عشر عاماً .حملته في دماغ .  
حملته في الطريق .حملته في صنعاء .حملته في كل مكان .  
حملته في كل ليلة .حملته في كل صباح .حملته في كل  
نفس .

الأمل لا يزول .الأمل يبقى .الأمل هو الذي يجعلني  
أكتب .الأمل هو الذي يجعلني أحفظ .الأمل هو الذي  
يجعلني أشهد .الأمل هو الذي يجعلني أقاوم .الأمل هو  
الذي يجعلني أعيش .

أنا أحمل الأمل لأجلكم. أحمل الأمل باسمكم. أحمل  
الأمل معكم.

الأمل في أن العالم سيسمع. الأمل في أن التاريخ  
سيُعرف. الأمل في أن العدالة ستُقام. الأمل في أن اليمن  
سيُعود. الأمل في أن الحياة ستنتصر. الأمل في أن  
الذاكرة ستبقى. الأمل في أن الشهادة لن تموت.

وهذا الأمل هو ما يجعلني أستم. هو ما يجعلني أكتب .  
هو ما يجعلني أحفظ. هو ما يجعلني أشهد. هو ما يجعلني  
أقاوم. هو ما يجعلني أعيش.

وهذا الأمل أقدمه لكم. أقدمه لأجلكم. أقدمه باسمكم.

\*\*\*\*\*الوعد

أعدكم أنني لن أتوقف.

أعدكم أنني لن أنسى.

أعدكم أنني لن أستسلم.

أعدكم أنني سأستمر في الحفظ. سأستمر في الكتابة. سأستمر

في الشهادة. سأستمر في المقاومة. سأستمر في الحياة.

أعدكم أنني سأحمل أسماءكم. سأحمل قصصكم. سأحمل

ذاكرتكم. سأحمل كل شيء.

أعدكم أنني سأحفظ ما استطعت . سأكتب ما عرفت .  
سأشهد على ما رأيته .  
أعدكم أنني سأخبر العالم . قد لا يسمع العالم الآن . لكن  
العالم سيسمع يوماً . قد يسمع بعد سنة . قد يسمع بعد  
عشر سنوات . قد يسمع بعد مئة سنة . لكن العالم  
سيسمع .  
أعدكم أنني سأحفظ الشهادة . سأحفظها لأجلكم .  
سأحفظها للأجيال القادمة . سأحفظها للحقيقة .  
سأحفظها للتاريخ . سأحفظها للعدالة .  
أعدكم أن الشهادة لن تموت .  
أعدكم .

\*\*\*\*\* الخاتمة

إلى الضحايا الذين لم يجدوا العدالة:  
أنا لم أحقق لكم العدالة . لم أستطع .  
لكنني حفظت أسماءكم . كتبت قصصكم . شهدت على  
ظلمكم . حملت ذاكرتكم . قدّمت شهادتكم .  
وهذا كل ما أستطيع . وهذا كل ما أملك . وهذا كل ما  
أقدمه .

أقدمه لكم. أقدمه لأجلكم. أقدمه باسمكم.  
أنا آسف لأنني لم أفعل أكثر.  
أنا آسف لأنني لم أنجز أكثر.  
أنا آسف لأنني لم أحقق العدالة لكم.  
لكنني لم أنس. لم أتوقف. لم أستسلم.  
وهذا أقل ما أستطيع. وهذا أقل ما أملك. وهذا أقل ما  
أقدمه.

أقدمه لكم. أقدمه لأجلكم. أقدمه باسمكم.  
الشهادة لا تموت.

الشهادة تبقى.

الشهادة تُروى.

الشهادة تُحفظ.

الشهادة تُكتب.

الشهادة تُقرأ.

الشهادة تُعرف.

الشهادة تُشهد.

الشهادة لا تموت.

وإلى الضحايا الذين لم يجدوا العدالة، أقول:

أنتم لن تضيعوا.  
أنتم لن تُنسوا.  
أنتم لن تموتوا.  
لأن الشهادة لا تموت.  
وأنا حاملها. وأنا شاهدها. وأنا صوتها.  
حتى النهاية.

—هذه ليست حكاية حرب. هذه ذاكرة ضحايا.  
وكل اسم في هذا الكتاب كان يوماً إنساناً له  
بيت وأم وأب وأبناء وأحلام، ثم دخلت  
الحرب حياته ولم تخرج منها".

| عنوان<br>الفصل                    | الفصل               | الفترة<br>الزمنية   |
|-----------------------------------|---------------------|---------------------|
| الطبيب في<br>القبو                | الفصل<br>الأول      | دماج<br>—           |
| الرجل الذي يمشي<br>في الظل        | الفصل الثاني        | البداية<br>"2013    |
| المحاماة التي لا<br>تتحني         | الفصل الثالث        | —<br>"2014          |
| الطبيبة التي عادت                 | الفصل الرابع        |                     |
| الطيار الذي رفض                   | الفصل<br>الخامس     | الحرب<br>تمتد       |
| الطفل الذي عاد من<br>الجبهة       | الفصل<br>السادس     | "2015<br>—          |
| الطبيب الذي لا ينام               | الفصل السابع        | "2017               |
| الصحفية التي تكتب<br>في الظلام    | الفصل الثامن        |                     |
| المرأة التي تحفظ<br>الأسماء       | الفصل التاسع        | الألغام<br>والذاكرة |
| الرجل الذي كان<br>يزرع الموت      | الفصل العاشر        | "2018<br>—          |
| الرجل الذي كان<br>يعدّ المعتقلين  | الفصل الحادي<br>عشر | "2020               |
| الطبيبة التي عادت<br>من المنفى    | الفصل الثاني<br>عشر | الحصاد<br>"2021     |
| الرجل الذي كان<br>يحمي الأطفال    | الفصل الثالث<br>عشر | —<br>"2023          |
| المرأة التي كانت<br>تكتب بأصابعها | الفصل الرابع<br>عشر |                     |
| الأسماء التي لم<br>تُعرف بعد      | الفصل<br>الخامس عشر |                     |

| عنوان<br>الفصل                        | الفصل               | الفترة<br>الزمنية |
|---------------------------------------|---------------------|-------------------|
| الشهادة لا تموت                       | الفصل<br>السادس عشر | الخاتمة<br>"2024" |
| إلى الضحايا الذين<br>لم يجدوا العدالة | الفصل السابع<br>عشر | -<br>"2026"       |
| الخاتمة                               | الفصل الثامن<br>عشر |                   |